سلسلة كتاب الآثار ١



التاريخ السياسي للأنباط

سليمان بن عبدالرحمن الذييب

جامعة الملك سعود

كلية السياحة والآثار

قسم الآثار

الرياض

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

ⓒ الهيئة العامة للسياحة والآثار/ ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الذيب ، سليمان بن عبدالرحمن
التاريخ السياسي للأنباط. / سليمان بن عبدالرحمن الذيب. - الرياض ، ١٤٣٢هـ

٨٨ص ؛ ١٧×٢٥سم — (سلسلة كتب الآثار ؛ ١)
ردمك : ٠-٦١-٨٠٢٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الأنباط — تاريخ ٢- الأنباط — التاريخ العسكري أ.العنوان
ب.السلسلة
ديوي ٩٣٩,٤ ١٤٣٢/٤١٨٥

رقم الإيداع : ١٤٣٢/٤١٨٥
ردمك : ٠-٦١-٨٠٢٢-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

إضاءة

عملت الهيئة العامة للسياحة والآثار منذ أن صدر القرار السامي الكريم عام ١٤٢٨هـ بضم وكالة الآثار والمتاحف إليها على تطوير قنوات النشر العلمي بقطاع الآثار، وقد شمل ذلك:

تطوير حولية الآثار العربية السعودية (أطلال) في الشكل والمضمون، وإصدار سلسلة دراسات أثرية محكمة كوعاء لنشر الرسائل العلمية والدراسات المحكمة في مجال الآثار والتراث والمتاحف، وقد حمل أول إصداراتها الرقم (١).

وسلسلة كتاب الآثار وقد حمل أول إصداراتها الرقم (١).

وسلسلة الكتب التعريفية، وهي سلسلة كتب للتعريف بالآثار والمواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية، وقد حمل أول إصدار لها الرقم (١).

وتجدر الإشارة إلى أن وكالة الآثار والمتاحف قد نشرت من قبل تسعة وستين كتاباً متخصصاً، اشتملت على: تسعة عشر إصداراً لحولية أطلال، وواحد وعشرين رسالة علمية، وإصدارين لندوة علمية، وموسوعة لآثار المملكة في ثلاثة عشر مجلداً، وموسوعة للتراث الشعبي في سبع مجلدات، وخمسة وعشرين إصداراً متنوعاً.

نائب الرئيس للآثار والمتاحف

أ.د. علي بن إبراهيم الغبان

المحتويات



بين يدي الكتاب

تناول العديد من الباحثين العرب وغيرهم بالدراسة والبحث تاريخ الأنباط وحضارتهم؛ فكتب بعضهم أبحاثه في الجانب الحضاري للأنباط، وتناول آخرون كتاباتهم ونقوشهم، لكن الواضح أن الجانب السياسي من تاريخهم حظي بجل اهتمام هؤلاء الباحثين. ولعل السبب وراء هذا الاهتمام يعود إلى معاصرتهم لليهود ودولتهم إقليميًا، وللقوة العالمية آنذاك- "روما" دوليًا.

وعلى الرغم من الجهود الطيبة التي قام بها هؤلاء الباحثون وتحديدًا في رصد تلك الأحداث السياسية للأنباط على مر العقود الماضية، إلا أن أغلبها لا يخرج عن كونه تكرارًا لما ورد في المصادر الكلاسيكية؛ لذا وجدتُ من المناسب أن أدلو بدلوي في هذه الأحداث السياسية أخذًا في الحسبان المنهج العلمي في البحث التاريخي. وقد فضلتُ قصرهُ في هذه المرحلة على الجانب السياسي تاركًا المظاهر الحضارية الأخرى للأنباط مثل: الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية .... إلخ جانبًا حتى تتبين ليَّ ردة فعل الباحثين على المنهج الذي رسمتهُ لنفسي في دراستي تاريخ هذا الشعب العربي الذي شاءت له الأقدار أن يؤدي الدور الذي يؤديه أحفادهم في العصر الحديث مع مواقف الدولة المغتصبة المسماة "إسرائيل"، وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية. أقول: إن المنهج الذي رسمتهُ لنفسي في دراستي هذه تضمن إضافة إلى المناهج التاريخية المعروفة المنهجان التحليلي والمقارن، لكي تتبين للقارئ بوضوح، ليس فقط الصورة التاريخية، بل ليستوعب العوامل والمسببات وراء كل حدث تاريخي قام به الأنباط أو نسب إليهم.

وتحقيقًا لذلك جعلتُ هذا العمل المتواضع في ثلاثة فصول: الأول مقدمة ركزتُ فيها على بدايات الأنباط التاريخية، مع دراسة علمية تحليلية لما خطته المصادر الكلاسيكية حول بداياتهم التاريخية؛ في حين كان الفصل الثاني عن الموطن الأصلي لهذا الشعب العربي الأبي. أما الفصل الثالث فكان عن الأحداث والأعمال ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بملوك الأنباط.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أقدر كل التقدير وأشكر كل الشكر كافة الزملاء والإخوة الذين اجتهدوا في قراءة هذا العمل المتواضع، وأخص منهم الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، والدكتورة وداد الشبار، وكلاهما في قسم التاريخ، كلية الآداب، والدكتور فهد بن علي الحسين، قسم إدارة موارد التراث والإرشاد السياحي، كلية السياحة والآثار، والدكتور مشعل بن حسن الشمري، قسم اللغات الأوروبية، كلية

اللغات والترجمة، والأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الديحان، قسم المناهج، كلية التربية، والأستاذ خالد الحائطي، قطاع الآثار بالهيئة العامة للسياحة والآثار. والشكر موصول لسعادة الأخوين العزيزين الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن سعود الغزي، والأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم الغبان فلولا دعمهما ووقفتهما التي أقدرها كثيرًا لما رأى هذا العمل النور.

وأدعو الله العلي القدير أن يكون هذا العمل مفيدًا لقارئه ومجيبًا عن تساؤلات متصفحيه حول الأنباط، كما أدعوه عز وجل أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي يوم ألقاه، إنه سميع مجيب الدعاء.

سليمان بن عبدالرحمن الذييب

أستاذ الكتابات العربية القديمة

جامعة الملك سعود

كلية السياحة والآثار

قسم الآثار

١٤٣١/١٢/١١هـ

الاختصارات

ADAJ: Annual of the Department of Antiquities of Jordan.
AJA: American Journal of Archaeology.
ANRW: Aufstieg und Niedergang der römischen Welt.
AS: Anatolian Studies.
BA: Biblical Archaeologist.
BASOR: Bulletin of the American School of Oriental Research.
BIA: Bulletin of the Institute of Archaeology.
BJ: Bonner Jahrbücher.
BSOAS: Bulletin of the school of Oriental and African Studies.
IEJ: Israel Exploration Journal.
JAOS: Journal of the American Oriental Society.
JEOL: Jaarbericht van het Vooraziatisch-egyptisch genootschap 'Ex Orients Lax'.
JRS: Journal of Roman Studies.
JSS: Journal of Semitic Studies.
MME: Manuscripts of the Middle East.
PAPS: Proceeding of the American Philosophical Society.
PEQ: Palestine Exploration Quaterly.
PSAS: Proceeding of the Seminar of Arabian Studies.
QDAP: Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine.
RB: Revae biblique.
ZDPV: Zeitschritt des deutschen palästina-Vereisns.

س: سطر

نق: نقش

هـ: هامش

الفصل الأول

المقدمة

المقدمة

يشكل أصل اشتقاق اسم الأنباط لغزًا استعصى على الباحثين تفسيره أو تأويله، بشكل صحيح، فتعددت الآراء، والتي يمكن لنا تلخيصها في ما يلي:

الأول: أن الاسم اشتق من كلمة ن ب ط، التي تعني "استخرج الماء" (Browns and others, 1906, p.619; Biella, 1982, p.290;) ولعل معرفة الأنباط بنوع من صهاريج المياه دورًا واضحًا في هذه التسمية؛ لذلك لم يجد الأنباط غضاضة بالقبول بها. لكن ما يغض من هذا القول أن الاسم عُرف في حدود القرن الرابع قبل الميلاد، وهي الفترة التي كانوا فيها أقرب إلى البداوة؛ لذا نميل إلى ترجيح الرأي القائل بأن القنوات المائية ونظمها الأخرى مثل الصهاريج لم تكن معروفة عندهم إلا في فترة لاحقة، وتحديدًا بعد القرن الرابع قبل الميلاد.

الثاني: أن اسم الأنباط على علاقة باسم القبيلة الآرامية "نبأتني، نبياتين، "Na-ba-a-a-ti، (Abu Taleb, 1986, pp.3-11)، التي عاشت في القرن الثامن قبل الميلاد على ضفاف الفُرات وجنوب سوريا، وجاء ذكرها في مدونات الملوك الآشوريين الثلاثة "تجلات فلاسر الثالث (٧٤٦-٧٢٧ ق.م)" و "أسرحدون (٦٨١-٦٦٨ ق.م)"، وأشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م)"؛ وهذا بالنسبة لنا أمر مستبعد، إذ إن مفاهيم الأنباط الفكرية والاجتماعية لا تتناسب مع تلك التي كانت لدى هذه القبيلة الآرامية، التي استقرت -كما قلنا- لمدة من الزمن على ضفاف نهر الفُرات متشبعة بالمفاهيم الحضارية والاجتماعية لشعوب بلاد الرافدين.

الثالث: ربط اسم الأنباط بابن إسماعيل البكر المدعو "نبايوت"[1]، حسب مصادر العهد القديم (التكوين ٢٥ : ١٣؛ أخبار الأيام ٢ : ٢٩). وهذا منهج كثير من المؤرخين القدماء الذين يربطون على الدوام أسماء القبائل والشعوب باسم شخص معين، آخذين بالمنهج التوراتي؛ وهذا النهج وإن كان ثابتًا في بعض الحالات، مثل الدولتين الأموية والعباسية، فالأولى نسبة إلى بني أمية، والثانية إلى بني العباس، إلا أنه في أحيان كثيرة يخالف هذا التفسير، فعلى سبيل المثال لا الحصر مسمى "لبنان" على علاقة بالثلج الأبيض، و"اليمن" من اليُمن والخير، وحديثًا مسمى "الكويت" نسبة إلى حصن الكوت، ... وهكذا.

ولعل الإشارة الواضحة لهذا الشعب كانت في الكتابات التي أوردها المؤرخ اليوناني

---

[1] اقترح كلاسر أن "نابيوث"، ليست إلا مشيخة كانت في القصيم (نقلاً عن علي، ١٩٧٨م، مج١، ص٤٣٧). ويفترض ألا يغيب عن البال احتمال أن كاتبي هذه الأسماء المختلفة النطق للفظ **ن ب ط**، كانوا لا يعرفون النطق الصحيح، تمامًا كما يقع الكاتب الغربي في عصرنا الحاضر، في خطأ كتابة اسم إحدى القبائل أو الأماكن في العالم العربي أو العكس. لذا لا يستبعد أن التاء كُتبت خطأً عوضًا عن الطاء.

"ديودور الصقلي" (Diodorus Siculus) الذي عاش في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وقد استقى معلوماته -التي ضمنها كتابه "المكتبة التاريخية"، المكون من أربعين جزءًا- من كثير من المؤرخين أشهرهم "هيرونيموس القارديائي (٤٠٥-٣٣٠ق.م) (Hieronymus of Cardia) (Bartlett, 1990, p.32; al- Abduljabbar, 1995, p.55)، فقد وصفهم بقوله: "لقد آلوا على أنفسهم ألا يبذروا حبًا ولا يغرسوا شجرًا يؤتي ثمرًا، ولا يعاقروا خمرة، ولا يشيدوا بيتًا، ومن فعل ذلك كان عقابه الموت، وهم يلتزمون بهذه المبادئ؛ لأنهم يعتقدون أن من تملك شيئًا استمرأ ما ملك (وعز عليه التخلي عنه)، واضطر من أجل ذلك أن ينصاع لما يفرضه عليه ذو القوة والجبروت" (Diodorus, vol. 10, p.87)[٢].

وهذا القول الذي جاء في معرض حديثه عن احتكاكهم العسكري المباشر بالمقدونيين في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، يدل دلالة واضحة على أن الأنباط على الأقل- في بداياتهم- كانوا بعيدين عن التمدن؛ وهذا الوصف -إن صح- لا يشير إلى حالهم في القرن الرابع قبل الميلاد، بل إلى فترة أقدم، فالحملة جاءتهم وقد دخلوا ركب الحضارة، مخالفين أحد مبادئهم الرئيسة، وهو عدم تشييد البيوت، إذ إنهم في البتراء كانوا في تلك الفترة يقطنون منازل وبيوتًا سكنها قبلهم الأدوميين (al-Abduljabbar, 1995, pp.104-6).

ولعلنا نشير إلى تعدد الدوافع التي رجحها الباحثون- والتي دفعت "أنتيجونوس" القيام بثلاث حملات عسكرية[٣]، والتي يمكن حصرها في سببين رئيسيين: أولهما سياسي، وثانيهما اقتصادي، وبالنسبة للآراء التي تمثل السبب الأول فمجملها قولهم إن الهدف من هذه الحملات لأنهم كانوا يشكلون عقبة ضد مصالح "أنتيجونوس" مما دفع الأخير إلى تحويل نظره إليهم (Negev, 1976, p.125)؛ أو لمنعهم من التحالف مع بطليموس العدو اللدود له؛ إذ تشير المصادر التاريخية إلى تحالف الأنباط مع "بطليموس" و"سلوقس" ضد "أنتيجونوس"[٤].

---

[٢] اعتمدنا في ترجمة النصوص الواردة عند "ديودور الصقلي" على الترجمة الواردة في كتاب إحسان عباس: **تاريخ دولة الأنباط**، والصادر سنة ١٩٨٧م. ولعلنا نشير إلى أن كثيرًا من المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين، قد تناولوا بصورة أو أخرى الأنباط، للمزيد عن هؤلاء انظر (الذييب، ١٩٩٥، ص١٥؛ al-Theeb, 1993, pp.69-70).

[٣] حملتان على مدينة البتراء، والثالثة على البحر الميت. فقد أشارت المصادر إلى أن "ديمتريوس" بعد انسحابه من البتراء توجه نحو البحر الميت الشهير بالقار، المادة المهمة في كثير من الصناعات، خصوصًا السفن؛ وذلك رغبة منه لتأكيد سيطرة "أنتيجونوس" على هذا الطريق الهام الذي يربط البتراء بالبحر الميت. لكن رواية "هيرونيموس القرديائي" تشير إلى أنه قد واجه مقاومة واضحة، فقد تمكن العرب وعددهم "٦٠٠٠" من التغلب عليه وسفك -كما يقول"هيرونيموس القرديائي"- دم معظم رجاله (Bowersock, 1983, p.16؛ الدغيم، ٢٠٠٢م، ص ص١١١- ١١٢)؛ وللمزيد من المعلومات عن هذه الحملة أنظر (al-Abduljabbar, 1995, p.55).

[٤] تشير المصادر التاريخية إلى أن سفر "سلوقس" إلى بابل قادمًا من مصر كان عن طريق دومة الجندل، للمزيد انظر(al- Abduljabbar, 1995, pp.127-130).

أما السبب الثاني، الذي فضله أغلب الدارسين والباحثين على مر العصور التاريخية، فهو اعتقادهم أن الدافع الرئيس لهذه الغزوات الثلاث هو رغبة "أنتيجونوس" في وضع يده على مصادر ثروة الأنباط (Jones, 1971, p.232; Bartlett, 1969, p.55; Bartlett, 1990, p.27; Knauf, 1990, p.202)؛ مكررين بذلك قول "ديودور الصقلي"، الذي سعى إلى حصر سبب الغزو في الحصول على الغنائم، وجزءًا من الثروات المالية التي يمتلكها الأنباط.

ونحن نرجح أن العامل الرئيس خلف رغبتهم السَيطَرة على منطقة البتراء كان أيضًا اقتصاديًا، لكنه بخلاف ما اعتقده بعض الباحثين خطأ، وهو الاستيلاء على الثروات التي لدى الأنباط، فالقول الذي نسبه "هيرونيموس"، للأنباط أثناء مفاوضاتهم مع "ديمتروس" (Demetrius)[٥]، بقولهم إنهم لا يملكون "... ماءً أو خمرًا أو حبًا..."، دليل على خطأ الاعتقاد بثرائهم وغناهم اللذين أغريا "أنتيجونوس" بشن هذه الحملات عليهم[٦]؛ إذ يبدو أن الدافع، الذي قاد "أنتيجونوس" إلى الاستيلاء على البتراء، يعود إلى الموقع الاستراتيجي لمناطق الأنباط في جنوب فلسطين، والتي تشكل المنفذ الرئيس لمصر، كما أن الدلائل السياسية آنذاك، قد دلت إلى أن المنطقة ستتمتع باستقرار سياسي، سيؤدي بدوره إلى عودة الحياة مرة أخرى للطرق التجارية المارة بالبتراء، وأهمها طريق الملك الذي أسسه الإخمينيون خلال القرن السادس قبل الميلاد، وأصبح شريان المواصلات التجارية بين آسيا وأفريقيا، وهكذا أدرك "أنتيجونوس" بفطنته أن المنطقة على أبواب استقرار سياسي، وبالتالي ازدهار تجاري سيوفر -عن طريق الضرائب والمكوس دخلاً لا يستهان به؛ لحاجته الماسة لأموال طائلة لتمويل تنافسه مع بطليموس؛ ليكون هذا التنافس في صالحه.

لهذا لا علاقة البتة بين ثراء الأنباط وهاتين الحملتين العسكريتين، لأن الأنباط لم يكونوا كذلك إلا فيما بعد؛ فالأهمية التي دفعت "أنتيجونوس" هي أهمية الموقع لا غنى الشعب وثراؤه؛ تمامًا كما هو الدافع لاستعمار القوى الكبرى قديمًا وحديثًا لكثير من الدول والمناطق. وواقع الحال يؤكد أن الأنباط أيام الحملة لم يكونوا ذوي غنىً وثراءٍ يغري ويدفع "أنتيجونوس" تكبد العناء والخسائر للسيطرة على البتراء وما حولها.

---

(٥) ويرى العبدالجبار أن هذا الاعتراف الذي نقله "هيرونيموس"، يتناقض مع حادثة حصار الإسكندر المقدوني لغزة واستيلائه على كميات كبيرة من البخور من المدينة واستماتة المدافعين الذين رجح بعضهم -كما يقول العبدالجبار- إنهم من الأنباط (al- Abduljabbar, 1995, p.126). فقد ذكر "أريان" (٩٥-١٧٥م)، أن الإسكندر وهو في طريقه إلى مصر رَغِبَ في احتلال غزة، لكنه وجد مقاومة عنيفة من أهلها بقيادة رجل أسماه "باتيس".

(٦) ونشير هنا إلى أن بعض من الباحثين قد كرروا هذه الأسباب نحو: عاقل، ١٩٨٣م، ص١١؛ مهران، ١٩٨٨م، ص ص٣، ٥؛ عباس، ١٩٨٧م، ص٣٠؛ المحيسن، ٢٠٠٤م، ص ص٢١-٢٣؛ Healey, 2001, p.26.

ولعلنا بعد هذا الإيضاح نعود لإعطاء فكرة عن الحملتين الموجهتين للبتراء:

الحملة الأولى:

وهي الحملة التي أرسلها "أنتيجونوس" سنة ٣١٢ ق.م، بقيادة أحد قواده المدعو "أثنايوس"، "إلى بلاد العرب الذين يدعون الأنباط"، على رأس جيش يضم أربعة آلاف من المشاة وستمائة من الفرسان. وكان "أنتيجونوس" قد أمر صديقه قائد الحملة بمهاجمة الأنباط على حين غرة؛ لذلك ما أن علم "أثنايوس" بأن الأنباط يحتفلون بعيد لهم في كل عام يقومون خلاله ببيع ما لديهم من سلع ويشترون ما يحتاجون، ويقومون أثناءه بحفظ مقتنياتهم على صخرة منيعة غير مسورة، تبعد مسيرة يومين عن المناطق المأهولة، وذلك بمعية الشيوخ والنساء والأطفال؛ في حين يتوجه الغالبية للاستمتاع بهذا الاحتفال وممارسة التجارة (البيع والشراء) بطرقها المختلفة (حتى وجد فيه فرصته المواتية لمباغتتهم، وتحقيق مآربه المتمثلة في السيطرة غير المباشرة على الطريق التجاري الذي يمر بالبتراء. وهكذا شد رحاله إلى البتراء، التي وصل إلى جهتها الغربية ليلاً بعد مسيرة ثلاثة أيام وثلاث ليال، فانقض عليهم مخلفًا عددًا غير محدود من القتلى وعددًا آخر من الجرحى، غانمًا إضافة إلى الأسرى كمية غير قليلة من البخور والمر والفضة. وتقول الروايات التاريخية إن "أثنايوس" قفل راجعًا بهذه الحصيلة من الغنائم إلى دياره؛ لكن "ديودور الصقلي" أشار إلى أن الجيش المقدوني اضطر بسبب الإعياء والجهد اللذين أصيب بهما في معركته الخاطفة هذه، ولتصورهم أنهم كانوا خارج نطاق مطاردة الأنباط إلى التخييم لأخذ قسط من الراحة.

"ولكن العرب حينما سمعوا ما حدث بصخرتهم ممن شاهدوا الحملة التقوا في الحال وتركوا مكان التجمع وهرعوا إلى الصخرة وبعد أن عرفوا ما حدث من الجرحى لحقوا باليونانيين على جناح السرعة، وبينما كان رجال "أثنايوس" في مخيمهم لا يعيرون العدو اهتمامًا، وقد استغرقوا في النوم بسبب إعيائهم، تسلل بعض الأسرى خفية وعادوا فأخبروا قومهم بحال عدوّهم وأنهم غاطون في نومهم، فجمع الأنباط من أنفسهم ما لا يقل عن ثمانية آلاف رجل وهاجموا المعسكر اليوناني في الهزيع الأخير من الليل، فذبحوا معظم جند العدو، حيث كانوا يرقدون، وقتلوا من تبقى منهم طعنًا برماحهم حين استيقظوا واثبين إلى السلاح دفاعًا عن أنفسهم، وكانت النتيجة أن ذُبح جميع المشاة ونجا من الفرسان قرابة خمسين معظمهم مثخن بالجراح" (Diodorus, vol. 10, p.93).

هذه هي رواية "ديودور الصقلي" وأخذ بها المؤرخون قديمًا وحديثًا، وفيها حبكة أقرب إلى أحداث ألف ليلة وليلة أو الروايات الخيالية في أيامنا هذه، ولدينا عدد من المآخذ التي تجعلها بعيدة عن الشفافية والمصداقية، فبحسب هذه الرواية- يتبين أن الصخرة تبعد عن الأماكن المأهولة، ومنها مكان التجمع مسيرة يومين، لذلك فإن شاهد العيان -إن كان سريعًا- يحتاج إلى ما بين عشرين إلى أربعة وعشرين ساعة كي يصل إلى مكان التجمع ويطلعهم على الأحداث. كما أن الأنباط المشاركين في هذه المناسبة يحتاجون على الأقل إلى يومٍ كامل للعودة لصخرتهم وتفقد أحوال أهلهم وممتلكاتهم. وهذا يعني بعملية حسابية بسيطة -إن قلنا إن الأمر كان أشبه

باستنفار- أنه يحتاج إلى يومين أو أكثر حتى يعود الجميع إلى الصخرة، بمعنى أنهم سيصلون بعد يومين كاملين من هجوم الجيش اليوناني.

ثم لو فرضنا جدلاً أن الجيش الذي أقام مخيمه بمسافة تبتعد ٢٠٠ ستاديا، أي ثلاثين كيلاً، عن البتراء، فما الوقت الذي يحتاجه جيش مكون من أربعة آلاف وستمائة بعتادهم وحيواناتهم كي يقطع هذه المسافة؟ فإن قلنا إن الجيش كان يقطع كل كيلومتر في نصف ساعة فهذا يعني أنه يحتاج إلى خمس عشرة ساعة (٣٠ × ٠,٥ = ١٥).

وهذا ينطبق أيضًا على الأسرى الذين تمكنوا من الفرار من الأسر فهم يحتاجون لقطع المسافة إيابًا ما لا يقل عن الست ساعات من الركض المتواصل. وإذا أضفنا هذا إلى اليومين السابقين ناهيك عن تغافل "ديودور الصقلي"، عن الوقت الذي يحتاجه الأنباط لتجميع ما مجموعه ثمانية آلاف رجل، الذين يحتاجون أيضًا للوصول إلى مخيم الجيش اليوناني -بالسرعة القصوى- إلى عشر ساعات، فهذا يعني أن الجيش المقدوني ظل نائمًا أو على الأقل معسكرًا لمدة ما بين سبعين إلى ثمانين ساعة، أي إلى ثلاثة أيام. وهو أمر يصعب قبوله، إذ لا يعقل أن يستمر كامل الجيش نائمًا طوال هذه الفترة؛ أو معسكرًا بدون أسباب جوهرية واضحة. ثم هل من المعقول أن يترك القائد المقدوني "أثنايوس" المخيم دون حراسة من مهمتها مراقبة الوضع؟ وكيف تمكن ثمانية آلاف رجل من الوصول إلى المعسكر دون أن يلفتوا انتباه الحراس أو حتى يصدروا أصواتًا أثناء تحركهم في اتجاههم للمخيم؟. وإذا تركنا هذه المبالغات جانبًا فكيف يريدنا "ديودور الصقلي" أن نقبل بروايته أنه لم يتبق من الجيش سوى "٥٠" فارسًا مثخنين بالجراح في حين أن البقية قد قتلوا (عددهم ٤٥٥٠ ما بين جندي وفارس)، فكم من الوقت يحتاج إليه الأنباط لأداء مهمتهم هذه في ظل نوعية الأسلحة التي كانوا يمتلكونها، فلو كانت أسلحتهم آنذاك- عبارة عن رشاشات ذات سرعة عالية لاحتاج الأمر إلى مدة لا تقل عن الثلاث ساعات، حتى لو تصورنا أن كل نبطيين اثنين قد هجما على جندي مقدوني، فالأنباط -حسب الرواية- كانوا ثمانية آلاف، والمقدونيون كان عددهم أربعة آلاف وستمائة.

وهكذا نجد أن التحليل والقراءة المتأنية لهذه الرواية تدحضها كليًا؛ فالذي حصل في تصورنا، هو وقوع الحملة المقدونية على البتراء أثناء انشغالهم في هذه المناسبة، وأن الجيش حقق مبتغاه من إظهار للقوة الإقليمية للمقدونيين للاستفادة -كما ذكرنا أعلاه- من الطريق التجاري عند إعادة إحيائه. وأن حادثة هجوم مجموعة من الأنباط على الجيش المقدوني صحيحة- إذ يظهر أن بعض الأنباط لم يتقبل فكرة وجود حامية مقدونية في الأراضي النبطية فالمخيم الذي يبعد فقط "٣٠ كيلاً" سبب قلقًا لعدد من الأنباط الوطنيين؛ مما دفعهم من باب المقاومة إلى الوقوف في وجه الأطماع المقدونية عن طريق مهاجمة هذه الحامية، التي لا يزيد جنودها في تصورنا- عن الثلاثين ما بين جندي مشاة وفارس، وكانت حصيلة هذا الهجوم من المقاومين الأنباط مقتل وجرح عدد كبير منهم، وهو ما دفع أهل الحل والعقد في البتراء إلى إرسال رسالة -درءًا لردة فعل "أنتيجونوس"، ملقين اللوم على قائده "أثنايوس"، الذي دفع -بتركه هذه الحامية في الأراضي النبطية- هذه المجموعة لمهاجمتها، في إشارة واضحة إلى المعسكر الذي أقامه

"أثنايوس"، ومتبرئين من ردة فعل هذه المجموعة النبطية، التي أسميها بفلول المقاومة الشعبية. ولعل ما يرجح رأينا هذا هو ردة فعل "أنتيجونوس"، الذي أرسل حملته الثانية -رغم قول "ديودور الصقلي"، إن "أنتيجونوس"، قد قبل -على مضض- بالتبرير النبطي، المرسل من أهل الحل والعقد في البتراء عن طريق رسالة كتبت له -كما ورد في الرواية- بالخط السرياني؛ الجدير بالذكر أن هذا النوع من الخطوط لم يكن قد ظهر آنذاك.

الحملة الثانية:

لم يجد "أنتيجونوس" مفرًا -لإعادة الهيبة لقواته- من إرسال حملته الثانية، التي كانت ذات دوافع أقرب إلى التأديبية منها إلى دوافع الحملة الأولى. وكانت مكونة من ثمانية آلاف نصفهم من المشاة المسلحين والنصف الآخر من الفرسان، بقيادة ابنه "ديمتريوس"، ولعلها جاءت بعد فترة قصيرة من الحملة الأولى، لأن الأنباط هذه المرة كانوا متنبهين لهذا الجيش من خلال العيون، الذين تمكنوا من رصد الجيش، فقاموا بتنبيه أهلهم في البتراء باستخدام الإشارات النارية؛ مما هيأ للأنباط بإمكانياتهم المتواضعة الاستعداد لصده وثنيه عن تحقيق مأربه، لهذا لم يجد "ديمتريوس"، مفرًا من الدخول في مفاوضات -رغم مهاجمته العنيفة والشرسة عليهم- مع ممثلين لأنباط البتراء بسبب المقاومة والتنظيم اللذين أظهرهما الأنباط، منطلقين معه في قولهم: "ليس من الحكمة في شيء أن يعلن اليونان حربًا على شعب لا يملك ماء أو خمرًا أو حبًا، نحن لا نعيش كما يعيش أبناء اليونان، ولا نرغب في أن نصبح عبيدًا لهم، نعيش في الصحراء مثلنا مثل الحيوانات البرية، ولن نسبب لكم الأذى مطلقًا ... ولن تستطيعوا إجبارنا على العيش بطريقة أخرى" (Diodorus, 1961, 14, 96, 4-98, p.99). وقد انتهت هذه المفاوضات إلى صلح قدّم الأنباط بموجبه عددًا من الرهائن، وبعض الرقيق والمال والهدايا، في مقابل عودة "ديمتريوس"، وقواته إلى دمشق؛ فهل يدل قبول "ديمتريوس"، بهذا الاتفاق على حنكة سياسية أم على قلة خبرة في التعامل مع مثل هذه الأمور؟ ردة فعل والده على هذا الاتفاق تشير إلى الاعتقاد بأن "ديمتريوس"، لم يكن موفقًا في اتفاقه، فكما ذكر "ديودور الصقلي"، أن والده قد أنبه ووبخه "وبخه على عقد الصلح مع الأنباط، قائلًا إن ذلك قد يجعل أولئك البرابرة أشد جسارة وجرأة حين تركهم دون عقاب، لأنهم قد يتخيلون أنهم أحرزوا عفوه لا من جرّاء سماحة فيه ولطف، بل بسبب عجزه عن الظهور والغلبة" (Diodorus, vol. 10, p.105).

وعلى الرغم من ردة فعل "أنتيجونوس" هذه، وإصراره على ضرورة معاقبتهم بسبب الهجوم الذي حصل على الحامية المقدونية- إلا أننا نميل إلى أن "ديمتريوس"، كان باتفاقه هذا قد فتح باب الاستقرار في المنطقة، إذ ليس من الحكمة فتح جبهة -حتى ولو كانت صغيرة- تشغل المقدونيين عن صراعهم وتنافسهم مع البطالمة في مصر؛ خصوصًا وأنه كان في طريقه بعد حملته على البتراء، للاستيلاء على غزة، لذلك كان يريد ضمان عدم تدخل أنباط البتراء لمساعدة أهالي غزة أو على الأقل ضمان حياديتهم. وما حصوله على الرهائن إلا إشارة واضحة على رغبة الأنباط الالتزام بالهدوء وعدم التعرض بسوء للمصالح المقدونية في المنطقة.

الفصل الثاني

الموطن الأصلي للأنباط

الموطن الأصلي للأنباط

من أين جاءت هذه القبائل العربية النبطية؟ وهل هي أصلاً قبائل بدوية عاشت في المنطقة نفسها؟ أم قبائل مهاجرة من مكان آخر دفعتها ظروف معينة إلى الاستقرار فيها؟ فبعضهم يرى أنهم أصلاً من منطقة أدوم، بينما يرى آخرون أنهم قد جاءوا من شمال نجد، وتحديدًا من جبال حائل. ورأى بعض المختصين أنهم قدموا من جنوب شبه الجزيرة العربية، ويعتقد آخرون أن موطنهم الأصلي هو شمال شرقي شبه الجزيرة العربية، بينما ترى مجموعة أخرى من الباحثين أنهم من وسط غرب شبه الجزيرة العربية.

أما الاحتمال الأول الذي يقول إن الأنباط أصلاً من منطقة أدوم أو شرقها (Bartlett, 1979, p.65)، فهو احتمال ضعيف؛ لأن الدراسات الأثرية العائدة للمدة الزمنية فيما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد (وهي المدة التي آلت فيها الأمور في هذه المنطقة سياسيًا إلى سيطرة الإمبراطوريتين الكلدانية والإخمينية، أي من ٥٥٢- ٣٣٢ق. م) في منطقة أدوم لم تسفر عن وجود أدلة لاستيطان بشري دائم ومستقر فيها؛ مما يدل على وجود فراغ حضاري بلغ عدة قرون، يتضح ذلك بين المخلفات الأثرية الأدومية (مثل الفخار الأدومي والمنشآت المعمارية) والمخلفات الأثرية النبطية (في القرن الأول قبل الميلاد مثل الفخار النبطي) (Glueck, 1934-5, p.139)[1]. فقد دلت الدراسات التي قامت بها جامعة إموري الأمريكية Emory في سهل الكرك، التي شملت ١٤٨ موقعًا على عدم وجود أدلة أثرية لوجود فارسي متأخر (٥٠٠ - ٢٥٠ق .م) (Mattingly, 1990, p.117). كما أن المسح الأثري الذي قام به ماكدونالد في وادي الحسا في الأردن، دل على وجود مواقع أثرية تعود إلى العصر الحديدي (الأدومي) لم تستخدم في العصر الفارسي (Macdonald, 1988, p.191). بينما كانت المواقع الأثرية العائدة إلى الفترة النبطية في السهل الأدومي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد. وهذه الشواهد والمكتشفات الأثرية القليلة، التي تعود إلى الفترة الإخمينية تعود (كما يرى بارتلت) إلى عدم اهتمام الإخمينيين بهذه المنطقة،

---

[1] الجدير أن بعض المختصين يزيد في المدة الزمنية لتصبح من القرن السادس وحتى القرن الأول قبل الميلاد، (Hart, 1985, p.412). بينما أثبت المسح، الذي قام به متنجلي في سهل الكرك أن ثمانية عشر موقعًا فقط من مائة وخمسين موقعًا تعود إلى العصر الحديدي، استمرت حتى الفترة الفارسية (Mattingly, 1990, p.325). لكن ما يؤكد نظرية كلوك، أن الكثير من المواقع الأدومية قد أنشئ عليها مباشرة مواقع نبطية. وهذا يشير إلى أمرين، الأول: أن الأنباط لم يستولوا كليًا على أدوم في وقت قصير، بل أخذ منهم الاستيطان في أدوم وقتًا طويلاً يصل إلى أكثر من قرن. والثاني: أن الأنباط وصلوا إلى المنطقة، وهي تقريبًا خالية من سكانها الأصليين (انظر، هامش١٣)، وأن الهوة بين المخلفات الأثرية الأدومية والنبطية (القرن الرابع- الأول قبل الميلاد) عائدة كما يرى بارتلت إلى أن الأنباط كانوا يستخدمون جلود الأغنام والأخشاب عوضًا عن الفخار (Bartlett, 1990, p.33).

وأنهم صبوا اهتمامهم على جبال أدوم (Bartlett, 1990, p.28)[٢]. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن الإخمينيين قد استخدموا الطرق الداخلية (أي داخل سوريا) للربط بين الشرق والغرب، ولم يعيروا اهتمامًا كبيرًا للطرق عبر الأراضي الأدومية، والتي تركت للقبائل العربية البدوية (المستقرة في المنطقة بين غزة وأنيسوس)، والتي قدمت المساعدة لجيش قمبيز (سنة ٥٢٥ق.م) عند مروره بهذه الأراضي في طريقه إلى مصر[٣]. وقد كافأ الإخمينيون هذه القبائل العربية بإعفائهم من دفع الجزية (انظر أدناه).

وهكذا فلو كان الأنباط أصلاً من هذه المنطقة (أدوم)، أو على مقربة منها لرأينا على الأقل استمرار بعض المفاهيم الحضارية الأدومية بينهم؛ لكننا لم نلاحظ في الحضارة النبطية ما يمكن اعتباره آدوميًا إلا استمرار عبادة الإله ذي الشرى، ومن المعلوم إن اقتباس الآلهة الوثنية عادة معروفة ومتبعة عند قبائل الشرق الأدنى القديم وشعوبه؛ لذلك أظهر الأنباط مع مرور الزمن مفاهيم حضارية مختلفة عما كان لدى الأدوميين، الذين اندفعوا إلى الشمال تاركين مواطنهم وأراضيهم على إثر حملة نبونيذ[٤] لهذه القبائل الجديدة (الأنباط)[٥]، التي تدل، كما سنرى، مفاهيمهم الاجتماعية والثقافية المبكرة على عدم احتكاكهم بالمراكز الحضارية.

---

[٢] وتدل الدراسات الأثرية على أن مناجم النحاس في جنوب Levant، وبالذات في موقع فينان (Feinan) كانت تعمل منذ القرن الثامن وحتى القرن الرابع قبل الميلاد (Bienkowski, 1990. p.36). وكان أحد الكتاب اليهود قد لفت الانتباه إلى أن مناجم النحاس والحديد في جبال أدوم، كانت مستخدمة حتى القرن الرابع قبل الميلاد "...في الماضي كانت توجد مناجم للنحاس والحديد في الجبال القريبة من البلاد العربية، لكن العمل في هذه المناجم تلاشى خلال الفترة الفارسية..."، (Thackery, 1904, p.27).

[٣] يوضح هيردوت أن مناطق العرب الساحلية الواقعة من غزة إلى أمينوس لم تدفع الضرائب للفرس (Herodot, vol:8, pp.88, 97). ويرى "أفعل"، بعد أن ترجم لفظة "هبة" إلى نوع من الضرائب، أن المملكة العربية (ما بين غزة والعريش) قد وُضعت من قبل الإخمينيين لتحصيل الضرائب والجمارك لصالح الإمبراطورية الإخمينية (Eph^cal, 1982, p.208). وهو أمر مستبعد، فقد كان بوسع الإخمينيين زرع فرق إخمينية لاقتطاع الضرائب والجمارك، خصوصًا أن خبرتهم وإمكاناتهم أفضل مما لدى عرب هذه المنطقة.

[٤] أحيانًا يقال إن الدولة الأدومية قد انتهت على يد نبوخذ نصّر سنة ٥٨٧ ق.م، إلا أن بعضهم يستبعد ذلك، حيث إن أدوم قد ساعدته في غزواته ضد عمون ومؤاب (Bartlett, 1979, p.53; Parr, 1989, p.49).

[٥] يبدو أن وصول الأنباط إلى المنطقة كان بعد السقوط السياسي لأدوم بقليل، وقد نتج عن سقوط دولة الأدوميين فوضى اقتصادية بالمنطقة دفعتهم إلى الهجرة شمالاً هربًا من الضعف الاقتصادي نتيجة للحرب وتدمير عاصمتهم (Bozrah)، ولم يبقَ منهم إلاّ عدد ضئيل جدًا. وهذا عكس ما يقترحه هاموند، الذي يذكر أن الأدوميين عاشوا تحت الحكم الاستبدادي للأنباط (Bartlett, 1990, pp.33-4)، لأنه لو بقيت طوائف معقولة منهم وهم المزارعون والرعاة لأثروا بطريقة أو بأخرى خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد في المفاهيم الحضارية النبطية. لكن تمسك الأنباط بالحياة البدوية حتى القرن الرابع قبل الميلاد يدل على أن الأدوميين قد غادروا أدوم بعد سقوط عاصمتهم وقبل وصول الأنباط إلى أراضيهم.

ويقترح بعضهم أن جنوب شبه الجزيرة العربية هو موطن الأنباط (;Glueck,1965, p.4 Starcky, 1966, pp.900-3 ؛ علي، ١٩٧٨م، مج٣، ص١٠)، وأنهم هاجروا منها بعد انهيار سد مأرب خلال القرن الخامس قبل الميلاد (Negev, 1976, p.123)[٦]، وذلك استنادًا إلى التشابه في بعض العناصر المعمارية، بالذات في النظام المائي المتبع لدى الأنباط وقبائل جنوب شبه الجزيرة العربية. ويجب ملاحظة أن ليس المقصود بالنظام المائي أنظمة القنوات المائية، التي انتشرت وعُرفت في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية، مثلاً في منطقة الأحساء (-Potts, 1984, pp.109 110)، وفي منطقة نجد خصوصًا ليلى والخرج وبالذات موقع ٢١٢- ٦٣، الذي تعود قنواته المائية إلى الفترة الهلينستية (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ص٣٥- ٣٦)، وفي الحجاز خصوصًا في العلا، وهي قنوات أرخها عبدالله نصيف إلى الفترة الهلينستية (,Nasif, 1979 p.76)[٧]. وعلى أية حال، يبدو أن نظام القنوات المائية قد عُرف بشكل مكثف وملحوظ في الفترة الإخمينية (للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر (English, 1968, pp.170-181)، ولكن المقصود هو التشابه في خزانات المياه، أي الصهاريج، التي تحفظ فيها مياه الأمطار حيث دأب الأنباط على حفر خزان (صهريج) ذي فتحة صغيرة نسبيًا تزداد مساحته تدريجيًا بما شبه حبة الإجاص أو الكمثرى، وهي ذات أبعاد ١٠٠ قدم × ١٠٠ قدم. ثم يقوم الأنباط بملء الخزان بالماء وتغطية فتحته ووضع علامة عليها لا يعرفها إلا هم (Negev, 1976, p.126)[٨]. بينما كانت الخزانات أو الصهاريج في جنوب شبه الجزيرة على العموم ذات أشكال مستطيلة أو دائرية، وغالبًا ما يتراوح قطرها بين ٢٠×١٣٠ قدمًا وعمقها ما بين ١٣ إلى ٢٦ قدمًا، وبعضها يحتوي على درج يصل إلى الأرضية، أما فتحة الخزان فهي صغيرة (Negev, 1976. p.131).

وهذا لا يكفي كدليل على أن الأنباط قد تركوا موطنهم في جنوب شبه الجزيرة العربية، لأنهم لو كانوا قد فعلوا ذلك، لما اكتفوا بنقل هذا العنصر الوحيد، بل لنقلوا على الأقل النظام الكتابي ومظاهر حضارية أخرى، كما فعل المستوطنون المعينيون الذين أنشأوا مستوطنات معينية في العلا خلال القرن الرابع قبل الميلاد (للمزيد انظر الفاسي، ١٩٩٣م، ص ص٧٩- ٨١)[٩]

---

[٦] وهو هنا يكرر مفهوم المؤرخين المسلمين عند تفسيرهم لهجرة القبائل العربية من اليمن، التي كانت بسبب تهدم سد مأرب الشهير وانهياره.

[٧] ولم يقدم "نصيف" حجة مقنعة لتحديده هذه الفترة الزمنية، لذلك يفضل دعمه بدراسة مفصلة للمواد الأثرية الأخرى.

[٨] إلا أن "نجف" عاد فاقترح أن تطوير الأنباط للصهاريج والخزانات كان خلال الفترة البابلية، بل ربما الأشورية (Negev, 1986, pp.5-6).

[٩] كان المعينيون قد سعوا في تلك الفترة إلى إنشاء بعض المستوطنات في مناطق مختلفة من شمال شبه الجزيرة العربية أملاً منهم في الاستفادة من الازدهار الاقتصادي نتيجة لاستخدام الطرق التجارية، لمعرفة هذه المستوطنات، انظر (Garbini, 1947, Nos: 247, 392, 398).

(أي في فترة ظهور الأنباط) لأسباب تجارية. فقد نقل هؤلاء معهم الكثير من المظاهر الحضارية من الجنوب إلى هذه المنطقة (الحجاز) وليس أقلها النظام الكتابي.

كما أن جميع المكتشفات التي عُثر عليها في المناطق النبطية المختلفة مثل النظام المعماري، والفن، والزخرفة والفخار، وغيرها، التي يقول عنها بيتر بار إنها ذات علاقة بأصول هيلنيستية- (Parr, 1968, p.252)، ليس لها علاقة أو أصل مع ما عُرف في جنوب شبه الجزيرة العربية. وهكذا فهذه المقولة تحتاج إلى أدلة أكثر وضوحًا على ضوء دراسة المكتشفات والمخلفات الأثرية في كلتا المنطقتين.

وأما مقولة إن الأنباط أصلاً من وسط غرب الحجاز أو شماله (Parr, 1986-pp.250-3؛ هيلي، ١٩٨٦م، ص١٣٦)، أو القول بأنهم بزغوا من خلال القبيلة العربية المعروفة ببني قيدار (Knauf, 1989, pp.57-61)[١٠] فهي غير مؤثرة. فرغم أن الحجاز (وخصوصًا مناطقه الشمالية) قد أدى دورًا تجاريًا ملحوظًا منذ الألف الثاني قبل الميلاد استنادًا إلى دراسات بيتر بار على فخار قُريَّة (في أقصى الشمال الغربي للحجاز) المطليّ والعائد إلى الألف الثاني، يظهر وجود تأثيرات مصرية[١١]، إلاّ أن استمرارية الاستيطان البشري غير واضحة. فقد أثبتت الدراسات أن الاستمرار السكاني الدائم والمستقر في بداية الألف الأول وحتى بداية التدخل الأشوري في المنطقة في القرن السابع قبل الميلاد (أي القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى من الألف الأول قبل الميلاد) غير موجود كليًا (آدامز، وآخرون، ١٩٧٧م، ص ص٤١- ٤٢). إذ منذ تلك الفترة بدأت القبائل العربية بالتدفق والاندفاع إلى هذه المنطقة والاستقرار فيها (بل إن الأشوريين قد شجعوا القبائل العربية على الاستقرار في سوريا لمنعهم

---

(١٠) قبيلة بني قيدار: قبيلة عربية بدأت في الظهور منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد، عندما هزمهم نبوخذ نصّر، وفيما بعد أشوربانيبال. وقد امتدت مناطقهم من دومة شرقًا، حتى سواحل البحر الأحمر غربًا، وشمالاً حتى غزة ثم داخل سيناء. استخدموا القلم الآرامي في نقوشهم وكتاباتهم. للمزيد عن هذه القبيلة انظر (التركي، ٢٠٠٨م، ص ص٦٢-٨٩).

(١١) ويستنتج بيتر بار من ذلك أن الطريق التجاري بين تيماء وقُريَّة، القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية كان مستخدمًا في ذلك الوقت، وأن مصر كانت تأخذ حصتها من البخور والعطور من اليمن قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، (Parr, 1989, p.42). لكننا نستبعد ذلك؛ لأن هذه الطرق التجارية، لم تبدأ بالازدهار كما دلت الدراسات إلا خلال الألف الأول قبل الميلاد. أما بالنسبة إلى حصول مصر على البخور والعطور من اليمن خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فهو كذلك مستبعد، حيث إن الدراسات الآثارية تشير إلى ضعف النشاط السكاني المستقر والدائم في اليمن خلال الألف الثاني قبل الميلاد (انظر إلى دراسة الفريق الأمريكي على الطريق التجاري، (Sauer, 1988, pp.91- 115). فكيف تنقل البخور والعطور إلى الشمال ومن ثم إلى مصر؟ لكن يبدو أن المصريين كانوا يجلبون بخورهم وعطورهم في تلك الفترة عن طريق سواحل البحر الأحمر، ومن ثم في فترة متأخرة (منذ الألف الأول قبل الميلاد) اتجهوا إلى اليمن. أما الاتصال الحضاري، بين مصر وشمال الحجاز، فنميل إلى أنه قد كان عن طريق البحر الأحمر، خصوصًا إذا عرفنا أن معرفة المصريين القدماء بالبحر تعود إلى الأسرتين الأولى والثانية أثناء اتصالهم بفنيقيا (أوليري، ١٩٩٠م، ص ص٤٠- ٤١).

من التسلل إلى بلاد الرافدين)[١٢]. وبدأ الازدهار الحقيقي للطرق التجارية بين الجنوب والشمال، ثم مصر وسوريا وبلاد الرافدين، مما دفع الإمبراطوريتين الكلدانية (ممثلة في نبونيد) والإخمينية إلى السعي للسيطرة على المواقع الإستراتيجية في شمال شبه الجزيرة العربية وشمالها الغربي مثل دومة الجندل وتيماء وديدان... إلخ. واهتمت الإمبراطورية الإخمينية بالطريق التجاري، الذي يربط الجنوب بالشمال في شبه الجزيرة العربية، لذلك عينت ما يعتقد أنه حاكم فارسي على مدينة العلا (JS, Lih349; Winnett, Reed, 1970, pp.115-7; Winnett, 1937, pp.50-1)[١٣]، وأهملت المناطق الداخلية (سواء الشمالية أو الوسطى) لشبه الجزيرة العربية. والواقع أن عدم انتشار التأثيرات الحضارية الإخمينية، بخلاف بعض المظاهر مثل القنوات المائية، على الحياة يعود إلى أن العلاقات بين هذه القبائل، القاطنة في هذه المنطقة، والإخمينيين كانت قوية؛ مما دفعهم إلى ترك الأهالي المحليين لإبراز حضارتهم ومفاهيمهم المحلية، تمامًا كما عمل الأشوريون مع بعض المدن الآرامية القديمة، حيث أثبتت الدراسات الأثرية أن المدن ذات النزعة الاستقلالية والعدائية لأشور كانت أكثر تأثرًا وانطباعًا بالتأثيرات الأشورية، من المدن الآرامية، التي اندفعت إلى القبول بالسيطرة الأشورية، حيث تركهم الأشوريون وشأنهم (Frankfort, 1954, p.166؛ الذييب، ١٩٩٤م، ص٢٦). وهكذا تُرك الأهالي المحليون في شمال الحجاز من قبل الفرس يبرزون مظاهرهم الحضارية الخاصة بهم، لكن هذا لا يمنع من وجود تأثيرات إخمينية على المظاهر الحياتية المختلفة في المراكز الحضارية الخاصة المهمة، مثل العلا وغيرها، والتي سنراها عندما تقام حفريات أثرية فعالة في المنطقة.

ولذلك فالقول: إنَّ شمال الحجاز هو الموطن الأصلي للأنباط لا يستند إلى دليل علمي، فالمنطقة، منذ نهاية الألف الأول قبل الميلاد إلى القرن السابع، لا توجد بها أدلة استيطانية مستقرة، كما أن المنطقة في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد -ممثلة في ديدان- كانت على مستوى حضاري وثقافي مرموق ورفيع، فهناك أدلة كتابية على وجود مملكة في ديدان قبل القرن الخامس قبل الميلاد، أي بعد سقوط بابل وقبل دخول الإخمينيين (Parr, 1989, p.51)، ويتناقض مع ما نعرفه عن القبائل العربية النبطية في القرن الرابع قبل الميلاد من مفاهيم اجتماعية بدوية صحراوية، ويتناقض كذلك مع القول بأنهم فرع من قبائل بني قيدار (مع أننا لم نعثر على دليل يؤكد هذه المقولة، على كل حال، انظر عباس، أبوطالب، ١٩٩١م، ص٥).

ويرى بعض الباحثين أن منطقة الهفوف في الأحساء هي الموطن الأصلي للأنباط مستندين إلى الأدلة التالية:

---

(١٢) وليس كما يرى بيتر بار من أن الأشوريين شجعوا القبائل العربية على الاستقرار داخل سوريا؛ لأنهم يريدون منهم أن يحموا الطرق التجارية بدلاً من الأهالي المحليين (Parr, 1989, p.44).

(١٣) وللأنصاري رأي تحزيري، حيث يعتقد أن معنى كلمة ف ح ت، هو فحت القنوات أو الآبار أي "حفرها" (الفاسي، ١٩٩٣م، ص١٦٤، هـ: ١٣) دون إعطاء دليل علمي واضح. ويتصور برتلت وجود حكام إخمينيين في أدوم ومؤاب؛ لثبوت الأدلة بوجود حكام إخمينيين في العلا (ديدان) وجودة (Judah)، (Bartlett, 1979, p.59).

أولاً: أن الإله، "ص ع ب/ ص ع ب و"، الذي عُرف في موطنهم الأصلي قبل هجرتهم قد غيّر مكانه في شرقي شبه الجزيرة العربية، استنادًا إلى بطلمي الذي حدد في جغرافيته مكان Apataioi an the ath ritai، في منطقة غرب Mount Zames، وبالذات في الهفوف (Milik, 1982, pp.261-5)[14].

ثانيًا: نص هيروغليفي وجد على خرطوشة في معبد آمون يذكر أن العرب هم "هجر"، وبما أن "هجر" هي الهفوف قديمًا فإن الأنباط هم الهجرانيون الذين أدّوا دورًا تجاريًا بين الخليج العربي ومصر. وعُرف الهجرانيون بارتباطهم بالأنباط.

ثالثًا: التشابه والتقارب اللغوي بين الجماعات العربية التي خلفت نقوشًا عربية عُرفت باسم Proto- Arabic وجدت في أور ونيبور وآورك وأبوصلبوخ، والنقوش العربية المعروفة في ثاج والهفوف. وعين جاوان مع الآرامية والنبطية (Graf, 1990, pp.45-75)[15].

وهذه الأدلة المذكورة أعلاه لا تصب -مع الأسف- فيما نعرفه عن الأنباط في بداياتهم كما وصفهم الكُتّاب "الكلاسيكيون"، فلو أن الأنباط على علاقة عرقية بالهجرانيين لنقلوا معهم المفاهيم الحضارية المتعددة التي اكتسبوها نتيجة احتكاكهم بالمراكز الحضارية في جنوب بلاد الرافدين، والمعروفة علاقتها بالخليج العربي منذ فترة الأسرات المبكرة وتزايد هذه العلاقات خلال فترة أور (Dayton, 1984, p.36). ثم لماذا لم ينقلوا معهم الخط المعروف بالحسائي[16]، الذي كتبوا به نقوشهم المعروفة في شرقي شبه الجزيرة العربية (الأحساء) وجنوب بلاد الرافدين؟!

---

(14) يرى بطلمي أن موقعهم هو (Mutayer) في الجنوب الشرقي للكويت الحالية، وكانت هانستد في دراستها للفخار المكتشف في فيلكا في القلعة الهيلينستية، قد توصلت إلى أن الفخار العائد إلى الفترة الهيلينستية ذي اللونين الأحمر والأسود (الذي أطلق عليه اسم الفخار العربي) معروف في البحرين والأحساء (مواقع ثاج، وعين جاوان، وتاروت). بينما كانت الأوعية الشبيهة بالأوعية النبطية رديئة الصناعة، (Hannested, 1989, pp.72-73). وهو ما يدل على ظهور اتصال حضاري وسكاني بين مناطق شمال الخليج العربي ووسطه، خلال تلك الفترة. أما الفخار، الذي أطلق عليه اسم الفخار العربي، فهو لا يشابه الفخار الذي عُثر عليه في النقب، الذي يعود إلى ما قبل ظهور الفخار النبطي (القرن الأول قبل الميلاد) وأسماه نجف "Negev Type"، (Negev, 1976, p.131)، للمزيد عن الإله "ص ع ب/ ص ع ب و" انظر (Healey, 2001, pp.153-4).

(15) وكان "ميلرد" قد وصف استنتاجات "جراف" في مقالته المذكورة أعلاه بأنها تجزيرية تعتمد على التخمين (Millard, 1993, p.363).

(16) لا يزال هناك خلاف بين المختصين حول تصنيف هذه النقوش، سواء التي اكتشفت في جنوب بلاد الرافدين، أو في الأحساء. لمعرفة هذه الآراء انظر (بوتس، ١٩٨٣م، ص ص٧ -٧٤؛ Potts, 1984, pp.114-8). ويشير البدر، ١٩٨١م، ص١٣، إلى التأثير الحضاري المتبادل بين السند والمواقع الحضارية في الخليج العربي، رغم عدم ذكره لأدلة أثرية أو تاريخية تؤكد هذا.

وهكذا فكل النظريات السابقة لم يحالفها الصواب نتيجة لعدم إدراك أصحابها حقيقة أن الأنباط في بداية ظهورهم كانوا أقرب إلى البداوة منهم إلى الحضارة، إذ تعيدهم النظريات السابقة إلى مراكز حضارية بعيدة كلياً عن البداوة. ونرى أنه لمعرفة الموطن الأصلي لهذه القبائل العربية النبطية يجب علينا أن نأخذ بالاعتبار ما ورد في المصادر والكتابات "الكلاسيكية" (مثل سترابو الذي أخذ معلوماته عنهم من صديقه الفيلسوف أثينودوس الذي ولد وعاش بين الأنباط) التي تحدثت عنهم (في بداياتهم) بشكل تفصيلي؛ فقدمت هذه المصادر والكتابات الكثير من المعلومات عن تقاليدهم وعاداتهم ومفاهيمهم. ويهمنا لتأكيد وجهة نظرنا أن نشير إلى وصف المؤرخ ديودور الصقلي لأحوالهم في بداية القرن الرابع قبل الميلاد حيث يقول: "... لقد آلوا على أنفسهم ألا يبذروا حبًا ولا يغرسوا شجرًا يؤتي ثمرًا ولا يعاقروا خمرة ولا يشيدوا بيتًا ومن فعل ذلك عقابه الموت... إلخ"[١٧].

وهذا يعني أنهم في تلك الفترة ما زالوا متمسكين بالمفاهيم البدوية، فهم لا يحبون كل ما يؤدي إلى الاستقرار والاستيطان، مثل بناء البيوت وممارسة الزراعة، وهم شديدو التعلق بالحرية، كما أنهم متمرسون بحياة الصحراء، يتخذونها معقلاً لهم يفيئون إليها إذا داهمهم عدو، كما فعلوا عندما وجه إليهم أنتيجونوس حملته الثانية. وهكذا فهم قبائل بدوية دفعتهم ظروف ما، سواء كانت سياسية أو طبيعية، إلى ترك موطنهم الأصلي الذي كان حتمًا إلى الجنوب من دومة، موطن بني قيدار أثناء القرن السادس قبل الميلاد، كما تذكر ذلك المصادر التوراتية، وكما يدلنا نقش أشوربانيبال، الذي ذكر في حولياته أنه دخل منطقة بعيدة لا يوجد فيها ماء، حارب فيها الأنباط، وكان يوثع (ياتع) الملقب بملك العرب قد هرب من الأشوريين إلى الجنوب (جنوب دومة ووادي السرحان) حيث موطن الأنباط (الهاشمي، ١٩٧٨م، ص ص٦٥٣- ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٥٩)[١٨]؛ لأنه المكان الصحراوي البعيد والصعب الاجتياز؛ ولذا فإن الموطن الأصلي للأنباط (كما ورد في التوراة والحوليات الأشورية) يقع إلى الجنوب من أراضي بني قيدار الرعاة، وهي تقريبًا المنطقة الواقعة بين حائل شمالاً والقصيم جنوبًا، أي في شمال منطقة نجد، وبالذات الصحارى الواقعة شمال شرقي القصيم، حيث لا مكان لطير ولا ماء[١٩].

---

(١٧) الترجمة مأخوذة من (عباس، ١٩٧٨م، ص٢٩).

(١٨) ولمعرفة أرقام هذه النقوش ومزيد من المعلومات، انظر (Eph^cal, 1982, pp.416-51)، ويرى "برتلت" أن المكان الذي ليس فيه طير ولا ماء هو مكان غير بعيد عن دمشق، (Bartlett, 1979, p.64)، ولكن هذا يتناقض أولاً مع ما هو مفترض بأنهم يقطنون جنوب أراضي بني قيدار في ذلك الوقت، ثانيًا: أن جنوب شرق دمشق ليس فيه واحات تصلح للاستقرار.

(١٩) وكان ألبرايت قد حدد منطقة حائل الموطن الأصلي للأنباط (Albright, 1956, p.12) ودعم هذا الرأي ونيت (Winnett, Reed, 1970, p.100).

الفصل الثالث

ملوك الأنباط

ملوك الأنباط

تقلد هذا المنصب الرفيع في هذه الدولة، على مدى مدة تزيد على مائتين وثمانين عامًا (١٦٩ق.م-١٠٦م)، أحد عشر ملكًا. نعتقد من خلال دراستنا لتاريخهم أنهم يعودون إلى ثلاث أو أربع سلالات[1]، وذلك على النحو التالي:

السلالة	الملوك	المدة	الفترة
الأولى	١	؟	؟
الثانية	٦	؟	؟-٩ ق.م
الثالثة	٣	١١٥ سنة	٩ق.م- ١٠٦م

وقد حمل هؤلاء الملوك أربعة أسماء فقط هي:

الاسم	العدد		الاسم	العدد
الحارثة	٤		عبادة	٣
رب إل	٢		مالك	٢

أطولهم مدة في الحكم هو الحارثة الرابع المعروف بلقبه "محب شعبه"، فقد استمر مدة "٤٩" عامًا (٩ق.م-٤٠م)، وأقلهم مدة في الحكم هو رب إل الأول، الذي حكم فقط عامًا واحدًا وهو العام ٨٥ق.م.

وبالإضافة إلى أن الذين تقلدوا دفة الحكم في هذه الدولة هم من الذكور إلا أن "شقيلت"، وهي زوجة مالك الثاني (٤٠- ٧٠م)، قد أدارت الدولة لمدة خمس سنوات بصفتها وصية على ابنها آخر ملوك الأنباط رب إل الثاني (٧٠- ١٠٦م)، ولم تتردد خلال مدة وصايتها أن تسك

---

(١) وذلك أن أخذنا بعين الاعتبار الخلاف بين الدارسين في نسب الحارثة الرابع، فإن كان أبنًا لعبادة الثالث، فإن عدد السلالات أيضًا ثلاث، وذلك على النحو التالي: الأولى لم نعرف منها إلا الملك الحارثة الأول، في حين أن فترتها غير معروفة. والثانية نعرف منهم أربعة ملوك (الحارثة الثاني، رب إل الأول عبادة الأول، الحارثة الثالث)، ونستطيع القول إنها قد انتهت في حدود العام الثاني والستين قبل الميلاد. أما السلالة الثالثة الأخيرة فقد بلغ عدد ملوكها خمسة، وبلغت مدتها "١٦٧" سنة، امتدت من ٦٢ ق.م إلى ١٠٦م. لكن أن أخذنا بأنها كانت من أربع سلالات فهي على النحو التالي: الأولى لا نعرف منها سوى الملك الحارثة الأول، في حين أن فترتها غير معروفة. والثانية نعرف منهم أربعة ملوك (الحارثة الثاني، رب إل الأول، عبادة الأول، الحارثة الثالث)، ونستطيع القول أنها قد انتهت في حدود العام الثاني والستين قبل الميلاد. أما السلالة الثالثة فهي من ملكين هما: عبادة الثالث، ومالك الأول، وكانت مدتها "٥٢" عامًا، وفترتها من ٦٢ - ٩ ق.م. وأما السلالة الرابعة فقد بلغ عدد ملوكها ثلاثة، واستمرت لمدة "١١٥" عامًا، من ٩ ق.م إلى ١٠٦م.

عملات أُرخت لفترة الوصاية. والجدير بالإشارة أن الملكة (زوجة الملك) كانت تؤدي دورًا اجتماعيًا وسياسيًا واضحًا. فقد حملت لقب "أخت الملك"، والمقصود الساعد الأيمن للملك، وهو كما نرى- أقل أهمية ومكانة من ولاية العهد. وبعض الملكات (زوجة الملك)، تستغل إمكاناتها وقوة شخصيتها فتدفع زوجها الملك لاختيار أبنها لولاية العهد، تمامًا كما فعلت شقيلت، عندما أقنعت زوجها الملك مالك الثاني لتخطي أبنائه الأكبر سنًا واختيار ابنها لولاية العهد.

وكان النظام السياسي عند الأنباط نظامًا ملكيًا وراثيًا؛ إما بين الأخوة مثل: عبادة الأول، ورب إل الأول، والحارثة الثالث وهم أبناء الحارثة الثاني؛ أو بين الأبناء مثل: عبادة الثالث ابن مالك الأول، الذي تقلد الحكم بعد والده، ومالك الثاني ابن الحارثة الرابع، الذي تقلد الحكم بعد وفاة والده، وأخيرًا آخر الملوك الأنباط رب إل الثاني، الذي جاء بعد وفاة والده مالك الثاني.

واللافت للنظر أن ما ميز هذه الدولة عن غيرها من الممالك العربية الشمالية ليس استمرارها لمدة تزيد عن الثلاثة قرون فقط، بل علاقاتها مع الدول والشعوب المعاصرة لها. وهذه العلاقات التي لم تكن نتاجًا طبيعيًا لموقع هذه المملكة الاستراتيجي، بل للأسلوب المتقدم الذي أدار فيها ملوكها هذه العلاقات بمختلف جوانبها السلمي أو الحربي.

ولعل الاحتكاك الدولي الأول لهذا الشعب (القبيلة) كان مع الأشوريين في حدود القرن السادس قبل الميلاد وتحديدًا في حوليات "أشور بانيبال"، وذلك في الحملة التأديبية التي قام بها الجيش الأشوري ضد القبائل العربية. وكانت هذه القبائل قد ثارت ضد الأشوريين، ومن بينها زعيم الأنباط المدعو: **ن ت ن و**. عندما كانوا في موطنهم الأول، وهو المنطقة الواقعة بين القصيم جنوبًا وحائل شمالاً. وبعد نحو قرنين ورد -إن صح أن هذا يشير إلى الأنباط- عن "هيردوت" في معرض حديثه عن المقاومة التي واجهها الإسكندر أثناء احتلاله غزة، فقد أشار "هيردوت" إلى ملك عربي اسمه "باتيس" كان يمتلك الموانئ الواقعة من غزة (كادوتيس) حتى ميناء "أيونوسوس" الواقع جنوب غزة.

لكن هذه العلاقات بحسنها وسوئها كانت واضحة إقليميًا مع المنافس الرئيس للسيطرة على المنطقة، وهي الدولة اليهودية، أما دوليًا فقد انحصرت علاقتها بالإمبراطوريتين البطلمية والرومانية. وكان لهذه الدولة علاقات مع الإمبراطورية "السلوقية"، التي أسسها القائد المقدوني "سلوقس" الأول (نيكاتور)، الذي حكم في البداية بابل من ٣٢١-٣١٦ ق.م، ومن ٣١٢-٣٠٥ ق.م. وقد حلت هذه الإمبراطورية محل دولة "أنتيجونوس" أحد قادة الإسكندر المقدوني، الذي تفرد بحكم المنطقة الآسيوية من إمبراطورية الإسكندر في المدة من ٣١٦- ٣٠١ ق.م. وقد التزم الطرفان بالاتفاقية التي أبرمها "ديمتريوس" مع الأنباط في حملة "أنتيجونوس" الثانية.

وهكذا أصبح الأنباط بمقتضى هذه الاتفاقية ولطبيعة العلاقات بينهم وبين البطالمة في مصر، من حلفاء الدولة "السلوقية" في المنطقة. ولهذا وقف الأنباط في فترات عدة مع السلوقيين، وتمثل هذا في دعم الأنباط للسلوقيين أثناء حملتهم التي قادها "أنطيوخوس الثالث" (٢٢١- ٢٠٥ ق.م)

ضد بطالمة مصر، والتي انتهت بهزيمة السلوقيين وحلفائهم ومنهم الأنباط. ولم يكتف الأنباط بتقديم الدعم المباشر وغير المباشر للسلوقيين بل إن السلوقيين أثناء اهتمامهم بالساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية قد أوكلوا مهمة مراقبة التجارة في الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية للأنباط. وعلى الرغم من أن هذه العلاقات في مجملها نَحَتْ منحى الجانب السلمي فقد تخللها خلافات وصلت إلى حد التصادم العسكري -خصوصًا عندما كانت الدولة السلوقية تعاني من مشاكل داخلية- فيجدها الأنباط فرصة في توسيع حدود مملكتهم، كما فعل الحارثة الثالث عندما أصبحت دمشق تابعة للمملكة النبطية. ولعل من أهم الأحداث العسكرية، التي حدثت بينهما المعركة التي انتهت بمقتل الملك السلوقي "أنطيوخوس الثاني عشر" (٨٨- ٨٤ ق.م)، وفرار قواته إلى منطقة "قانا" الواقعة في الخليل.

أما العلاقات مع بطالمة مصر فقد كانت بين شد وجذب، فقد تعامل الأنباط معهم تجاريًا، مثل تأمينهم لمادة القار أو الزفت، الذي يستخدم في طلاء السفن. لكن هذه العلاقة ساءت في حدود بداية القرن الثالث قبل الميلاد عندما وجد البطالمة أن الضرائب التي يجبيها الأنباط قد بلغت حدًا يصعب القبول به، وذلك فيما يبدو بسبب التدخل "السلوقي"، الذي يشارك الأنباط في هذا الدخل- فوجد البطالمة أن تنمية الطريق البحري هو الخيار الوحيد لوقف هذه التكاليف الباهظة، لهذا عَمِلَ "بطليموس الثاني" (٢٨٥- ٢٤٦ ق.م)، على تحقيق هذا الأمر عن طريق ما يلي:

- إرسال البعثات الاستكشافية في البحر الأحمر[٢].
- العناية بالطرق التي تربط وادي النيل بالبحر الأحمر.
- تأسيس عدد من المستوطنات اليونانية على الساحل الغربي للبحر الأحمر.

وهكذا أدت هذه التطورات، التي لم يحسب لها الأنباط حسابًا إلى تراجع واضح في مواردهم الاقتصادية، بسبب تضاؤل استخدام الطرق البرية؛ فلم يجد الأنباط حلاً مناسبًا سوى تشجيع الأعمال العسكرية ضد السفن التجارية البطلمية[٣]، وهو العمل الذي أسماه "ديودور الصقلي"

---

(٢) وقد كُلف بهذه العملية أحد علماء مكتبة الإسكندرية المدعو "أريستون"، فقام برحلته التي امتدت من شواطئ سيناء حتى أيلة النبطية عند رأس خليج العقبة؛ فلاحظ أن الأنباط لم يتوسعوا جنوبًا، إذ توقفوا عند أيلة، حيث وجد في هذه السواحل قبائل صغيرة تقطنها. كما زار ممالك الجنوب الرئيسة آنذاك- معين، وسبأ، وقتبان، حتى وصل إلى باب المندب.

(٣) الجدير بالذكر أن عباس، ١٩٨٧م، ص ص٣٣- ٣٤، قد خمن أن الأنباط "في مرحلة من مراحل تطورهم التجاري لم يكتفوا بنقل المتاجر برًا، بل بنوا لهم سفنًا، وأخذوا يبلغون موانئ اليمن نفسها لينقلوا بعض السلع إلى الميناءين الجوراء وأيلة"، ولم يكتف عباس بهذا التخمين الذي لا يستند إلى دليل علمي، بل إنه أعاد سبب مهاجمة الأنباط إلى احتلال البطالمة لميناء أيلة. ويجب أن نشير هنا إلى أنه لا يوجد لدينا -على الأقل حتى اليوم- ما يفيد بان الأنباط قد استخدموا بأنفسهم الطريق البحري، فقد اكتفوا بأخذ الضرائب على البضائع.

"القرصنة"[٤]، حيث يقول: "بعد أن جعل ملوك الإسكندرية طرق البحر ميسرة لإبحار تجارتهم لم يكتف هؤلاء العرب بمهاجمة من تحطمت بهم سفنهم، بل أنزلوا إلى الماء سفن قرصنة تطارد التجار والمسافرين محاكين بتلك الأعمال الوحشية الجامحة الطائوريين من أهل بنطس". وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يأخذ هذا القول بحساسية مفرطة (عباس، ١٩٨٧م، ص ص٣٣-٣٤؛ الفاسي، ١٩٩٣م، ص٨٩، هـ١١٠)، إلا أن هذا التصرف من قبل الأنباط يدل على عدم وجود رؤية محددة عندهم، فلم يعملوا على الاستفادة من هذا الفن الجديد واستغلاله في زيادة مواردهم الاقتصادية (التي استفاد منها فيما بعد الرومان)، لذلك لم يكن أمامهم سوى تشجيع هذه الأعمال العسكرية (القرصنة) في محاولة منهم لإفشال هذا التوجه الجديد. وهذا -في تصورنا- خطأ وقع فيه الأنباط فقد كان من الأولى أن يتجهوا لتعلم هذا الفن والاستفادة منه كرافد اقتصادي جديد. على كل حال، لم تنجح هذه الأعمال، إذ إنهم بتصرفهم هذا دفعوا البطالمة لأمرين:

الأول: التعاون مع الدولة الصغيرة الواقعة إلى الجنوب من المملكة النبطية، وهي الدولة اللحيانية؛ ولم يتردد اللحيانيون -كما يرى البعض- بالسماح للبطالمة في استخدام موانيهم.

الثاني: إنشاء بطليموس الثاني سنة ٢٧٨-٢٧٧ق.م، قوة بحرية مهمتها حماية السفن، قامت لاحقاً بتدمير -ما يسميه بعضهم مبالغة- الأسطول أو القوة البحرية النبطية.

وقد استمرت هذه العلاقة متذبذبة لكنها تميل في الغالب إلى الاختلاف أكثر منها إلى الاتفاق (انظر أدناه).

أما علاقة الأنباط بالإمبراطورية الرومانية فقد غلب عليها الهيمنة والسيطرة الرومانية رغم مساعدة الأنباط غير المحدودة للرومان، مثل مساعدة مالك الأول "ليوليوس قيصر" في حصاره مدينة الإسكندرية، وقيام الملك عبادة الثالث بتقديم العون للرومان في غزوهم اليمن. أما علاقتهم بالدولة المنافسة لهم إقليميًا وهي الدولة اليهودية فقد تأرجحت بين صداقة، ودليلها التزاوج الدبلوماسي فيما بين العائلتين الملكيتين عندما اقترن "هيرود أنتيباتر" من ابنة الحارثة الرابع؛ وعداوة ودليلها الحروب والصراعات بينهما حول الحدود وغيرها. للمزيد عن هذه العلاقات انظر أدناه.

---

(٤) يبدو أن "ديدور الصقلي" قد نعت هذه الأعمال بالقرصنة؛ لأنها كانت موجهة إلى السفن المعطلة والتجارية، وليس إلى السفن العسكرية.

١ - الحارثة الأول:

ما نعرفه عن الحارثة، الذي اعتبر أحد ملوكهم قليل جدًا، ومصدره التوراة، في معرض تناولها لفرار "ياسون" ولجوئه إلى الحارثة، أثناء صراعه مع أخيه "منلاوس"[٥]، على كهانة اليهود (سفر المكابين الثاني ٥: ٧- ٩). وقد أشارت التوراة إلى أن الحارثة اضطر لاحقًا إلى طرد "ياسون"، استجابة من الحارثة لمطالبة "منلاوس"، فاختار المطرود الذهاب والاستقرار في مصر. وقد وجد بعض الكتاب العرب حساسية مفرطة في طرد الحارث الأول لياسون، محتجين على الرواية التوراتية بأن العرب لا يطردون -كما تقول تقاليدهم ومفاهيمهم- من يلجأ إليهم (عباس، ١٩٨٧م، ص٣٧). ونحن لا نرى ضيرًا فيما أشارت إليه التوراة وذكرته حول هذه الحادثة، إذ إن المصلحة السياسية العليا للدولة تفرض على الحارث الاستجابة بطرد "ياسون"، بعد أن تيقن أن الأحوال قد استقرت لمصلحة "منلاوس"؛ وهو منهج ما زال مستخدمًا في عالمنا حتى الآن، فبعض الدول حال عودة العلاقات إلى مجراها الطبيعي تقوم بتسليم المعارضين السياسيين لتلك الدولة، وهذا ما حدث مع الحارث الذي غلب مصلحة بلاده، فمن العبث الإصرار على إيواء "ياسون"، والسيطرة آلت إلى أخيه الكاهن.

وإن كان ما أشارت إليه التوراة صحيحًا فإن الحارثة الأول قد عاصر سياسيًا الإمبراطور السلوقي أنطيوخوس الرابع (١٧٥-١٦٤ ق.م). ولعلنا نشير هنا إلى أن الحارثة الأول قد كان حليفًا للدولة المكابية أثناء صراعها مع الدولة السلوقية، وأن علاقة هاتين الدولتين كانت -كما جاء في التوراة- حسنة وطيبة، فعلى سبيل المثال لم يتردد "يوناثان"، من إرسال أخيه "يوحنا" ليسأل الأنباط دعمهم العسكري، بأن "يعيروهم عدتهم الوافرة" (المكابيين الأول: ٦ : ٣٥).

٢ - الحارثة الثاني (؟ -٩٥ ق.م):

وهو الملك النبطي الذي نعرفه بعد الحارثة الأول رغم طول المدة التي تقارب المائة عام، فهذه الفترة الواقعة بينهما غير واضحة سياسيًا.

وما يجب أن نتوقف عنده بالنسبة للحارثة الثاني أمران أولهما حضاري وهو سكه للعملة النبطية وهو بهذا يُعدّ أول من سك عملة من ملوك الأنباط. وقد ميزت بكتابة الحرف (A)، وهو الحرف الأول من اسمه باليونانية "Arethas"، وفي بعضها، خصوصًا البرونزية منها، كتب

---

(٥) يعود سبب الصراع -كما بينت التوراة- إلى قيام باسون (Jason) باستخدام المال للحصول على وظيفة الكهنوت الأعظم، وهي وظيفة تجمع فيما بين الوظيفة الدينية والدنيوية، إذ عرض على الملك مبلغ ثلاث مائة وستين قنطارًا من الفضة ...، (المكابيين الثاني: ٤ : ٧- ١٠)؛ وهكذا حصل على الوظيفة. لكن أخيه "منلاوس" استغل تصرفات أخيه "ياسون" غير اللائقة بهذا المنصب، فعرض على الملك ست مائة وستين قنطارًا من الفضة نظير عزل أخيه وتنصيبه، فوافق الملك على هذا العرض (المكابيين: ٤ : ٢٤- ٢٦).

الحرف الأول من اسمه، الذي يكتب بالنبطية وهو الحاء (ح ر ث ت). وهذا النوع من العملات جاء محاكيًا في شكله شكل العملات المتداولة -آنذاك- مثل عملات الإسكندر الأكبر الذهبية. وقد كانت حتى السنة السابعة الميلادية ذات قيمة نقدية مرتفعة، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن نسبة الفضة بلغت فيها فيما بين (٦٣ - ٩٩٪)؛ مما جعلها منافسًا قويًا للدينار الروماني في مجال التجارة الدولية (الدهام، ٢٠٠٩م، ص٥٣)[٦].

ثانيهما سياسي فقد بدأ الضعف والوهن ينهش في جسد الإمبراطورية السَلوَقية، مما شجع القوى الإقليمية آنذاك على استغلال هذا الضعف، ومن هؤلاء "ألكسندر ينايوس" ملك الحشمونيين، الذي رغب في توسيع نفوذ مملكته، فهاجم غزة وهي الميناء المهم للأنباط[٧]. والغريب أن أهالي غزة بعد علمهم بتحركات الحشمونيين هذه، وتحديدًا بعد استيلائهم على مدينة أم قيس شمالاً وعمثا ورفح جنوبًا، ذهبوا إلى الحارثة الثاني وأطلعوه على ما لديهم من معلومات حول نية "ينايوس"، الذي طلب منهم المقاومة والصمود مؤكدًا لهم أن الدعم النبطي سيكون في طريقه إليهم، لكن الحارثة ترك غزة وأهلها لقمة سائغة بين يدي الجيش الحشموني. ولعل من حسن الطالع بالنسبة لأهل غزة ظهور قلاقل سياسية شمال مملكة الحشمونيين، مما دفع "ينايوس" إلى ترك غزة وأهلها والاهتمام بهذه القلاقل بعد أن نهبها وحرقها وقتل الكثير من أهلها (Josephus, 1998, p.432).

٣ - عبادة الأول (٩٥ - ٨٥ ق.م):

في عهد هذا الملك[٨] حدث أول تصادم فعلي مباشر بين الجيشين النبطي واليهودي، إذ يظهر أن الملوك الذين تقلدوا الحكم قبله فضلوا عدم الدخول في معارك مباشرة معهم، ولعل ما دفع عبادة للاشتباك المباشر ما يلي:

---

[٦] لعل من المفيد الإشارة إلى أن العملات النبطية، وذلك من خلال الدراسات العلمية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: العملات المبكرة، والمتوسطة، والمتأخرة. القسم الأول تمثل في النقود التي عُرفت بالنقود المبهمة، وهي تلك العملات التي لا يظهر عليها اسم معين أو تاريخ محدد؛ وتلك العملات ضربت في دمشق. أما القسم الثاني فيمثله العملات التي سُكت في عهود عبادة الثاني ومَالِك الأول وعبادة الثالث، أي من ٦٢ ق.م - ٩ ق.م. وأما القسم الثالث فيمثله العملات التي سكها كل من الوزير سلي، والملوك الحارثة الرابع ومَالِك الثاني ورب إل الثاني. أي من الفترة الواقعة من سنة ٩/٨ق.م إلى ١٠٦م (الدهام، ٢٠٠٩م، ص ص٥١-٦٣).

[٧] ليس ميناء غزة فقط المركز النهائي لطريق القوافل التجارية القادمة من مختلف المراكز الحضارية في شبه الجزيرة العربية بعد مرورها بمدينة البتراء، بل هي الميناء المهم الذي يتم من خلاله تحميل البضائع النبطية عبر البحر الأبيض المتوسط. كما أنها كانت من الأماكن التي سُكت فيها العملات النبطية.

[٨] لعلنا نشير هنا إلى خطأ الاعتقاد الذي سار عليه بعضهم (Riddle, 1961, p.35)؛ من أن رب إل الأول، هو الذي خلف الحارث الثاني؛ في حين أن من المرجح أن الذي تقلد الحكم بعد الحارثة الثاني هو عبادة الأول (Starcky, 1955, p.89; Bowersock, 1971, p.223; Hammond, 1973, p.17; Lowler, 1974. pp.39, 143).

١ - خوف عبادة من استمرار "ينايوس" بعد أن انفتحت شهيته لضم الكثير من الأقاليم والمناطق، فالملك الحشموني لم يكتف بضم غزة فقط بل أضاف منطقتي "جلعاد ومؤاب"، اللتين تقطنهما قبائل عربية (Josephus, 1998, p.432).

ونرى أن تخوف عبادة الأول كان في محله، فمن المعروف سياسيًا سواء كان في العصر الحديث أو القديم أن الانتصار العسكري أو الزيادة الواضحة في قوة دولة ما يدفعها إلى التوسع الجغرافي والهيمنة السياسية والاقتصادية، ما لم تجد من يردعها ويحول دون تحقيق مآربها[٩].

٢ - كثرة القلاقل والثورات الداخلية التي يتعرض لها دومًا الملك الحشموني "ينايوس"، وهي -في تصورنا- ما كان يدفعه إلى نقل مشاكله الداخلية لتكون خارجية سعيًا منه لتوحيد اليهود. لكن هذه القلاقل دليلٌ جلي على ضعفه داخليًا؛ لذلك وجد عبادة فرصته في الاحتكاك العسكري المباشر مع اليهود.

وهكذا التقى الجيشان في معركة عرفت باسم الموقع الذي وقعت فيه وهو "جدارا" أم قيس حاليًا، الواقع إلى الشرق من بحيرة طبرية.

وقبل أن تبدأ المعركة بشكل واضح استخدم "ينايوس" المنهج والأسلوب الذي يتقنه اليهود، وهو المماطلة والدعوة إلى المفاوضات وذلك بعد أن أيقن أن المعركة لن تكون في صالحه؛ لأمرين:

الأول: نجاح الأنباط في إرغام الجيش اليهودي دخول واد ضيق منعزل[١٠]، فوجد أنه وقواته سيكونون صيدًا سهلاً للجيش النبطي.

الثاني: ظهور بوادر انشقاق في مملكته، الذي يعود -كما يقول جوزيفوس- إلى غضب أتباعه عليه لقتله ستة آلاف يهودي وإقحامهم في حروب دامت ست سنوات أودت بحياة خمسين ألف منهم (Josephus, 1998, p.433).

والذي يظهر -على كل حال- أن هذا الاتفاق أو لنقل الانتصار المعنوي كان في مجمله في صالح الدولة النبطية، تمثل في سيطرتها على مناطق في حوران والجولان ومناطق جلعاد وعمون ومؤاب؛ وفي الكم الكبير من العملات التي سُكت في عهد هذا الملك، على الرغم من أن

---

[٩] ولعل من الأمثلة الحية ما فعله العراق إبان حكم الرئيس صدام حسين، الذي خرج بعد حرب ضروس مع إيران بجيش قوي، مما دفع قادته السياسيين إلى الاتجاه لفرض هيمنتهم على جيرانهم مبتدئًا بدولة الكويت.

[١٠] يقول جوزيفوس (Josephus, 1998, p.433)، إن الجيش الحشموني دخل منطقة "صعبة ويصعب السير فيها"، حيث وقع "ينايوس" في واد عميق قرب أم قيس، وبصعوبة استطاع أن ينجو بحياته ويهرب إلى القدس".

بعضهم يعيد سكه لهذا الكم من العملات لتغطية نفقات الحرب (Meshorer, 1975, p.12) ؛ مما يعني أن الدولة النبطية أصبحت ذات شأن إقليمي لا يستهان به من الناحيتين السياسية والتجارية.

وهكذا وقع الأنباط في فخ المفاوضات التي انتهت بتخلي "ينايوس" عن الأراضي التي احتلها في منطقتي "جلعاد، ومؤاب"، في مقابل أن يتوقف عبادة عن دعمه لمعارضيه وخصومه في إسرائيل، رغم عدم وجود أي دليل مادي يدل على تدخل عبادة في الشؤون الداخلية لإسرائيل. والسؤال الذي يطرح نفسه هل كان موافقة الحارثة على المفاوضات خطأ استراتيجيًا أم لا؟.

٤ - رب إل الأول (٨٥ - ٨٤ ق.م) :

رغم فترة حكمه القصيرة التي لا تزيد عن عام إلا أن الحدث السياسي الأبرز قد حدث في عهده؛ فبحسب رواية المؤرخ البيزنطي "إسطفانس" خلال تأريخه لحملة السلوقيين على بلاد العرب المعروفة باسم "الحملة الثانية"، أن من نتائج هذه الحملة انتهاءها بمقتل الملك السلوقي أنطيوخس الثاني عشر[١١]، وفرار فلول قواته وجيشه إلى منطقة "قانا"، بعد معركة قادها رب إل الأول بجيش وصل إلى عشرة آلاف جندي. ويصف "يوسيفوس" أحداث هذه المعركة بقوله: "لقد انسحب ملكهم (ملك الأنباط) إلى مواقع دفاعية أفضل، ومن ثم هجم بجنوده العشرة آلاف مقاتل على جيش "أنطيوخس" عندما كان متناثرًا، وبينما كان رجال "أنطيوخس" يعانون وبشكل مفزع على يد العرب ونتيجة لمخاطرته بحياته أثناء مساعدته لجنوده سقط "أنطيوخس" قتيلاً، حيث دُمر معظم جيشه، أما من نجا من الجيش فقد لجأ إلى قرية قانا (Canatha)، غير أن الجوع وقلة الطعام أودى بحياة معظمهم" (Josephus, 1998, p.434).

ولعل السؤال الذي يفترض بنا طرحه: هل مات رب إل متأثرًا بجراحه التي أصابته أثناء المعركة؟ أم أن السلوقيين اغتالوه انتقامًا لمقتل مليكهم؟ ولكن -مع الأسف الشديد- فإن المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا لا تسمح لنا بتحديد سبب الوفاة، ولماذا لم يستمر هذا الملك الأبرز فترة لا تزيد عن العام[١٢].

٥ - الحارثة الثالث (٨٤ - ٦٢ ق.م):

تقلد الحكم بعد أن اتخذت المملكة النبطية وضعًا إقليميًا مختلفًا، بحيث أصبحت تتمتع بمكانة لها وزنها على الأقل كما ذكرنا في المنطقة- وهي المكانة التي ما كانت لولا قيادة أخيه "رب إل الأول".

---

(١١) لقد حدثت هذه المعركة التي قتل فيها هذا الملك السلوقي، في مكان عُرف باسم "موتو" العربية، ويقال إنها سميت بهذا الاسم "موتو"، لما وقع فيها من موت على أثر الهجوم النبطي (علي، ١٩٧٨م، مج٣، ص٢٧).

(١٢) الملاحظ أن القادة العظماء -بخلاف القادة المؤسسين- لا يستمرون فترات طويلة فها هو عمر بن عبدالعزيز لم يستمر إلا سنوات قليلة.

ولما لهذه المكانة -كما نرى- التي جاءت نتيجة لهذا الانتصار التاريخي، فلم يتردد أهالي دمشق في طلب تدخل الحارثة الثالث، بل وعرض تبعيتهم للبتراء، وذلك لعاملين:

الأول: أنهم سئموا كثرة الخلافات والصراعات التي كانت تجري في مدينتهم بين اليونانيين الذين استقروا في مدينتهم دمشق.

الثاني: رغبتهم في صد التحرشات التي دأب عليها ملك العرب اليطوريين "بطليموس بن منايوس"، الذين اتخذوا مملكتهم في شرق لبنان؛ للمزيد من المعلومات عن اليطوريين انظر (عبدالعليم، ١٩٨٦م، ص ص٧- ٢٠).

وهنا لم يتردد الحارثة في قبول هذا المقترح، فعين في الحال حاكمًا ينوب عنه في إدارة شؤون المدينة، وأمر لتخليد هذه المناسبة السعيدة بسك عملة خلدت هذا الحدث، ولأول مرة في التاريخ النبطي قام بوضع صورته الشخصية على العملة[١٣].

وفي العرف السياسي ارتكب -كما نعتقد- الحارثة الثالث خطأين استراتيجيين، يتمثل أولهما في أنه بدلاً من اتجاهه لتقوية إمكانيات دولته أقدم، لسبب غير معروف[١٤]، على مهاجمة عدو مملكته القديم "ينايوس" وتحديدًا في العام ٨٢ق.م، ونجح في هزيمته في معركة جرت في موقع "جديدة"، شرق يافا؛ نعم، إن الانتصار في هذه المعركة غير المبررة، والتي يمكن تعريفها بالمغامرة السياسية غير محسوبة النتائج، كان لصالح الحارثة، لكن العبرة بالنتائج النهائية، ولأن الحارثة كما قلنا لم يحسبها كما يجب، فقد كانت ردة فعل "ينايوس" موجعة بكل المقاييس، إذ أقدم على احتلال اثنى عشرة قرية تفصل بين مملكة الأنباط ومدينة دمشق، ونقول إنها ضربة قاضية؛ لأنها وضعت المسمار الأول في نعش انفصال دمشق عن البتراء. وهذا في الواقع ما حصل إذ لم تمر سوى ست سنوات، وتحديدًا سنة "٧٠" ق.م، حتى نجح ملك أرمينيا المدعو "دكران (تغرانس)" من انتزاع دمشق بكل سهولة من التبعية للبتراء إلى مملكته.

ولم يكتف الحارثة الثالث فقط بهذا الخطأ التكتيكي بل أقحم نفسه في الشؤون الداخلية لدولة إسرائيل، دون أن يحسبها بشكل صحيح، إذ أن تدخله لو كان مدروسًا لكان في مكانه، فعداوة اليهود لمملكته وشعبه واضحة، فقد كرر ما قام به الحارثة الأول قبل مائة عام عندما التجأ إليه

---

(١٣) لعلنا هنا نشير إلى أننا لا نتفق مع القائلين بأن نفوذ المملكة النبطية أثناء حكم الحارثة الثالث قد امتد إلى صيدا، فمثل هذا القول يحتاج إلى أدلة واضحة، إذ إن النص الذي وَجد في صيدا والمؤرخ، من قبل كاتبه الذي حمل وظيفة ا س ر ت ج ا أي "القائد، الوالي"، بالسنة الخامسة من حكم الحارثة الثالث (CIS160)، لا يدل على سيطرتهم وعلى تواجدهم في صيدا إلا من خلال التعامل التجاري فيما بينهم وبين صيدا.

(١٤) يعتقد بعض الباحثين أن سبب هذا الهجوم هو استمرار سيطرة "الإسكندر ينايوس" على موانئ البحر الأبيض المتوسط، مما ألحق الضرر بالتجارة النبطية (Starcky, 1955, p.91).

"ياسون"؛ فبعد وفاة "ينايوس"[١٥] نشب خلاف بين الأخوين (أرسطوبولس، وهيركانوس) على تولي الكهانة الكبرى، فبعد خروج الثاني مهزومًا بعد معركة "أريحا" فرَّ إلى البتراء، حيث قَبِلَ به الحارثة لاجئًا.

وبعد لجوئه استمع الحارثة لنصيحة صديقه "أنتباتر" بضرورة دعم "هيركانوس" مقابل أن يحقق "هيركانوس" وعده بأن يعيد -حال هزيمته لأخيه- الاثنتي عشرة قرية التي استولى عليها والده قبل عشر سنوات، لهذا حزم الحارثة أمره وسار بجيش قوامه خمسين ألفًا من الخيالة والمشاة - على رواية يوسيفوس- إلى الدولة اليهودية، وتمكن من هزيمة "أرسطوبولس الثاني"، الذي التجأ إلى المعبد في القدس ليحتمي فيه، بعد أن تخلى عنه جنوده وانضموا إلى جانب "هيركانوس الثاني"، والحارثة الثالث في حصارهم للمعبد، بينما لم يبق إلى جانب "أرسطوبولس" سوى عدد من الكهنة (Josephus, 1998, p.440)؛ وهكذا حاصر الحارثة الثالث القدس بهذه القوات المتحدة من الأنباط واليهود.

ونقول إنه لم يحسب حسابه بالشكل الصحيح لأنه لم يأخذ بعين الاعتبار القوة العالمية الجديدة (روما)، التي حلت محل السلوقيين في المنطقة، إذ كان عليه عدم الاستعجال والتريث ليتبين له بشكل واضح المواقف التي ستنتهجها الدولة العظمى الجديدة.

وفي أثناء هذا الحصار وصل "سقاروس/ سكاروس" (Scaurus)، قائد الجيش الروماني إلى المنطقة واستقبل وفدين نبطي ويهودي اللذين وقفا أمام القائد يشرحان وجهة نظرهما ومبرراتهما، التي كانت وراء تصرفاتهما الأخيرة. واتخذ "سقاروس" بعد الاستماع إليهما موقفًا مخيبًا للأنباط، فدعم الوفد اليهودي[١٦] طالبًا من الحارثة تخليه عن الحصار وانسحابًا سريعًا غير مشروط، ونصحه (وهو تهديد مبطن) ألا يستثير روما. وهكذا عاد الحارثة يجر أذيال الخيبة والفشل إلى البتراء، حتى أن "أرسطوبولس" استغل هذه الوضعية فهاجم الأنباط أثناء انسحابهم، وقتل منهم "٦٠٠٠" جندي (Josephus, 1998, p.441).

وكما هي عادة اليهود في الضجيج وعدم انتهاء مشاكلهم انتهزوا وصول الإمبراطور الروماني بنفسه للإشراف على تنفيذ القرارات الإدارية والتقسيمات الجغرافية الجديدة[١٧]، فزارته وفود

---

(١٥) يقال إن "الإسكندر ينايوس"، قد توفي أثناء حصاره لحصن رجب، شرق الأردن، بعد معاناة لمدة ثلاث سنوات من مرض الحمى، ومن إدمانه الشديد للخمر (Josophus, 1998, p.435).

(١٦) يبدو أن موقف القائد الروماني كان إلى جانب الوفد الذي يمثل "أرسطوبولس الثاني"، بسبب -كما يقال- قيام هذا الوفد بدفع مبلغ أربعمائة تالنت من الفضة (Josephus, 1998, p.441)؛ وقد اعتبرها بعضهم بمثابة رشوة لشراء انحياز القائد الروماني.

(١٧) وتمثل هذا التنظيم الإداري الجديد بجعلها ولاية رومانية، وبتأسيس المدن المستقلة التي عرفت باسم مدن "الديكابولس" (Decapolis)، الواقعة إلى جنوب سوريا وشمال شرق الدولة اليهودية، وتتألف من المدن

ثلاثة، أحدها يمثل هيركانوس، والثاني يمثل أرسطوبولس، والثالث يمثل بقية الشعب اليهودي، الذي كان يطالب بإلغاء الملكية والعودة إلى نظام الكاهن الحاكم.

وللمصادفة الغريبة التي يفترض أن تكون في صالح الحارثة الثالث أن "بومبي" اتخذ بعد هذه الزيارة قرارًا مغايرًا لقرار القائد "سقاروس"، فأعاد "هيركانوس" للحكم، وأمر بوضع أخيه "أرسطوبولس" في السجن؛ لأن الأخير كان متعجلاً ومنزعجًا إلى الحد الذي جعله ينسحب ويعود أدراجه عائدًا إلى القدس تاركًا "بومبي"، ذاهبًا في طريقه لزيارة الأنباط، إذ إن "بومبي" رأى عدم اتخاذ أي قرار بعد استماعه للوفود الثلاثة اليهودية، إلا بعد زيارته للأنباط وتفحص وضعهم (Josephus, 1998, p.442)[١٨]، لكن القلق والاضطراب اللذين أصابا "أرسطوبولس"، إضافة إلى تخوفه من أن بومبي قد يتخذ قرارًا ليس في صالحه جعله يعود أدراجه إلى القدس. وعندما علم بومبي بما فعله "أرسطوبولس" لحقه إلى القدس- ورغم قبول بومبي بعرض "أرسطوبولس" من الهدايا واعتذاره عن تصرفه إلا أن أهالي القدس من حلفاء "أرسطوبولس" أوصدوا الأبواب أمام أحد قواده المدعو: "غابيتيوس"، الذي حضر خصيصًا لاستلام الهدايا التي وعد بها "أرسطوبولس" بومبي، مما أغضبه بشدة، فتدخل أنصار "هيركانوس" لمصلحة بومبي ضد أنصار "أرسطوبولس". وهكذا زج بومبي "بأرسطوبولس" إلى السجن، وأعاد "هيركانوس" إلى الحكم.

نقول إن هذه التطورات كان من المفترض أن تكون في مصلحة الحارثة، لكن قيام "سقاورس" بمهاجمة الأنباط، استكمالاً لما كان يريد أن يفعله بومبي لولا لحاقه "بأرسطوبولس"، جعل "هيركانوس" الذي كان لاجئًا عنده يقف مع الغزاة الرومان ضد الأنباط، ولم يكن اليهودي الوحيد الذي اتخذ هذا الموقف المنافي للصداقة والعلاقات الجيدة (لكنها المصلحة السياسية)؛ بل إن "أنتباتر" الأدومي وقف أيضًا مع الرومان ضد الحارثة[١٩].

التالية: دمشق، قنوات (قانا)، طبقة فحل، هيبوس (الحصن)، جدارا (أم قيس)، جرشا (جرش)، قيسارية، بيسان، وديوم، سكيتابونس (Jones, 1983, p.456; Bowersock, 1971, pp.30-4; www.wikipedia.org).

(١٨) لعل من المفيد الإشارة على أن بعض الباحثين، استنادًا إلى رواية المؤرخين الرومانيين "ديوكا سيوس" (Dio Cassius)، وأبيان (Appian)، اللذين أشارا إلى قيام بومبي بمهاجمة الأنباط في عقر دارهم وانتصاره عليهم دون عناء مقيمًا حامية رومانية في أراضيهم (Dio Cassius, 1961, p.345; Appian, 1962, pp.441-3)، قد أعاد هذا إلى رغبة "بومبي" ضمان الاستقرار بالمنطقة وإضعاف الأنباط تجاريًا، لهذه الآراء انظر (النصرات، ٢٠٠٧م، ص ص٩٥-٩٦).

(١٩) ويدل على هذا الموقف المنحاز أمران أولهما المساعدة المباشرة التي قدمها "أنتباتر" لجيش مكاروس (سقاروس)، الذي عانى جيشه من التعب والجوع، والمتمثلة بتزويده بالقمح، بل بكل ما يحتاجه جيش "مكاروس" من مساعدات من الدولة الأدومية؛ ثانيهما قبول "أنتباتر" أن يكون سفيرًا وممثلاً لسقاورس في المباحثات مع الأنباط (Josephus, 1998, p.445).

وعندما وجد الحارثة نفسه في موقف لا يحسد عليه، لم يجد مخرجًا يحفظ حكمه أو لنقل بلاده وشعبه سوى الدخول في مفاوضات عوضًا عن الاحتكاك العسكري المباشر الذي لن يكون بأي حال من الأحوال في صالحه، فاضطر إلى القبول بدفع مبلغ قدره "٣٠٠ تالنت"، اعتبر نظير شراء الحارثة لحرية شعبه، إضافة إلى موافقته على قيام مملكته بوضع حد لتحرشات العرب بالحدود الرومانية، مع تعهده بالحفاظ على الأمن في هذه المنطقة. وهكذا خلد "سقاروس" هذا الحدث بسك عملة ظهر فيها الحارثة راكعًا على ركبتيه وإلى جانبه جمل وهو يقدم غصنًا في خضوع واضح.

ويظهر لنا أن كراهية الحارثة الثالث لروما لمواقفها ضده وضد بلاده جعلته يتخذ لنفسه لقب "محب اليونان".

٦ - عبادة الثاني (٦٢/٦١-٥٩ ق. م):

يرى بعض الباحثين أنه قد تقلد حكم الدولة النبطية بعد وفاة والده الحارثة الثالث، لكن معلوماتنا عنه قليلة جدًا، فالمصادر التاريخية المبكرة التي تناولت تاريخ الأنباط لم تتطرق إليه، وقد يعود هذا إلى قصر فترة حكمه، التي اعتبرها بعضهم فيما بين ٦١ إلى ٦٠ ق. م (Hill, 1965, p.XII)، وبعضهم الآخر من ٦٢ إلى ٥٦ ق. م (Lindner, 1986, p.161)[٢٠]. ولعل الفضل يعود إلى ترجيح تولي عبادة الحكم بعد الحارثة إضافة إلى الدراسات الخاصة بالمسكوكات، والتي تصدى لها ميشورير (Meshorer, 1975, p.18)، هي النقوش النبطية، وخاصةً نصين أحدهما عُثر عليه في البتراء، والآخر جاء من تل الشقيفة بجمهورية مصر العربية (Jones and others, 1988, pp.47-57).

٧ - مالك الأول (٥٩ - ٣٠ق.م):

لم يتعلم للأسف الشديد مَالِك هذا من أخطاء سلفه الحارثة الثالث فرغم الدور المشبوه الذي قام به دائمًا "أنتباتر" إلا أن مَالِك كان يتأثر كثيرًا بنصائحه وآرائه لعل من أهمها:

١ - موافقة مَالِك على ارتباط "أنتباتر" من فتاة نبطية من أسرة مرموقة وذات شأن في المجتمع النبطي، اسمها "كفرت"[٢١]، التي أنجبت منه أربعة أولاد يهمنا منهم "هيرود الكبير" و"سالومة".

---

(٢٠) نستبعد كلياً قول كامرر، الذي اعتبر مدة حكمه خمسة عشر عامًا، وتمتد من سنة ٦٢-٤٧ق.م (Kammerer, 1929, p.177).

(٢١) وتدعى باليونانية "سيبروس" (Cypros). ويبدو أن هدف "أنتباتر" من هذا الزواج كما يرى "يوسيفوس"، هو ضمان صداقة قوية مع ملك الأنباط، ولعل إرساله أولاده بعد حربه مع "أرسطوبولس الثاني"، إلى البتراء ليكونوا في مأمن من الخطر دليل على قوة هذه الصداقة ومتانتها (Josephus, 1998, p.448).

٢ - إقناعه بموالاة "يوليوس القيصر" سنة ٤٩ ق.م ومعاونته ضد البطالمة[٢٢]؛ ورغم دعمه هذا، إلا أن الأنباط لم يكسبوا شيئًا من هذا الموقف، فقد كافأ القيصر "أنتباتر الأدومي"، وجعله حاكمًا على اليهودية (Josephus, 1998. p.449).

وقد يتبادر إلى الذهن بسبب وجود القيصر على هرم السلطة في روما القوة الدولية الجديدة، و"أنتباتر" حاكمًا على اليهودية- أن موقف الأنباط الإقليمي سيكون جيدًا لكن الظروف خالفت هذا الأمر لثلاثة أسباب هي:

١ - اغتيال القيصر، الذي كان في عام ٤٤ ق.م.

٢ - وفاة "أنتباتر" الأدومي مسمومًا.

٣ - دخول البارثيين (الفرثيين) المملكة اليهودية وسيطرتهم عليها.

لهذا اضطر "هيرود الكبير" الالتجاء إلى أخواله الأنباط[٢٣]، لكن مالكًا فضل عدم استقباله بطلب من البارثيين، الذين طلبوا منه عدم إيوائه أو دعمه. وهكذا بعد صدود الأنباط رأى "هيرود" أن القرار الأفضل هو الذهاب مباشرة إلى العراب نفسه "روما"؛ وهو ما دفع مَالِك إرسال وفد يخبره بموافقته على لجوئه السياسي (Josephus, 1998, p.568). المهم أن "هيرود الكبير" أخذ موافقة روما نفسها التي قررت إعادته ملكًا على اليهودية وأمرت بطرد البارثيين منها[٢٤]. وبعدها رأى القائد الروماني "فنديتيوس"، بسبب موقف مَالِك الداعم لأعداء "هيرود" حليف الرومان، فرض جزية على الأنباط (Bowersock, 1983. p.40).

ولم تكن الأحداث التالية في مصلحة الأنباط، فخلال زيارة الإمبراطور "أنطونيو" للشرق، وقع في غرام "كيلوبترا"؛ لهذا رأت أن تنتقم من موقف الأنباط عندما دعموا الرومان ضد البطالمة، ففي لحظة ود وصفاء وجدت الوقت المناسب للانتقام فطلبت من "أنطونيو" أن يمنحها مملكتي اليهودية والأنباط، لكن حظ الأنباط -كما نرى- كان قويًا هذه المرة، فربطها في طلبها المملكتين اليهودية والنبطية، دفع الإمبراطور الروماني إلى عدم تحقيق رغبتها، فقرر منحها جانبًا

---

[٢٢] فيما يبدو أن موافقة مَالِك على مساعدة القيصر، كانت بسبب خضوع الأنباط للرومان (Lowler, 1974, p.52).

[٢٣] وكان هروبه بعد فشله -رغم زواجه من "ماريا منه" حفيدة "هيركانوس الثاني"- في كسب تأييد وثقة اليهود لتقلد الحكم فيها، بسبب كونه أجنبيًا (أدوميًا)؛ وتدخل البارثيين لصالح "أنتيجونوس بن أرسطوبولس الثاني"، وتنصيبه حاكمًا للدولة اليهودية (Josephus, 1998, p.467).

[٢٤] نجحت القوات الرومانية بقيادة فنديتيوس (Venditius)الحاكم الروماني في سوريا في إخراج البارثيين من الدولة اليهودية وسوريا؛ كما عاد "هيرود" سنة ٣٧ ق.م، وتسلم حكم الدولة اليهودية، رغم عدم التأييد الشعبي للتصرف الروماني.

من الساحل الفينيقي ومزارع البلسم عند أريحا، إضافة إلى أجزاء من أراضي الأنباط. ولم يكتف بذلك بل قرر أن على الأنباط أن يدفعوا إيجارًا لأراضيهم إلى "كليوبترا" باعتبارها أراضيَ بطلمية (Grant, 1971, p.86; Hammond, 1973, p.47).

وهكذا وقع مَالِك في مشنقة هذه المرأة، فلم تتردد عندما تأخر مَالِك في دفع الإيجار أن تقترح على حبيبها وعشيقها "أنطونيو" بأن يأمر من "هيرود الكبير" مهاجمة الأنباط، وذلك رغبة منها في إنهاك الطرفين وإشغالهم في معارك تضعفهما؛ ليتحقق لها -كما يقول يوسيفوس- الاستيلاء على هاتين المملكتين (Josephus, 1998, p.485; Grant, 1971, p.233). وهكذا وقع مَالِك بين عدوين لدودين:

الأول: "هيرود الكبير"، الذي كان غاضبًا من موقف مَالِك بعدم قبوله اللجوء إليه، والتردد في دعمه ضد البارثيين.

الثاني: "كيلوبترا" البطلمية، التي لم تنس موقف ودعم الأنباط ودعمهم للرومان ضد البطالمة.

وتنفيذًا لطلب "أنطونيو" قام "هيرود" بمهاجمة الأنباط مرتين، الأولى كان فيها مالكًا مهزومًا، وهي المعركة التي غزا "هيرود" فيها حوران. أما الثانية والتي كانت عند قناتا فقد جاءت في بدايتها لمصلحة الأنباط بعد تدخل مباشر من أحد قادة كليوباترا، لمصلحة الأنباط[٢٥]، عندها أخذ اليهود الطريقة والأسلوب الذي يتقنونه بشدة وهو طلب التفاوض، فأرسلوا وفدًا، لكن مالكًا ارتكب غلطة كبيرة لم تلاقِ فقط الغضب من اليهود ولكنها لاقت الاستهجان من الجيش النبطي نفسه؛ إذ إن مَالِك لم يتمالك نفسه من الغضب والقهر والظلم، الذي أحس به من تصرفات ومواقف "هيرود" التآمرية، فأمر بإعدام الوفد.

وكان أول ما فعله "هيرود" حال علمه بخبر إعدام الوفد أن قام بإلقاء خطبة عصماء استثار فيها الجيش، مركزًا على الحماس الديني حينما فسر لهم أن سبب الزلزال الذي وقع في منطقتهم يعود إلى غضب الرب عليهم؛ فتحمس الجيش والتقى بالجيش النبطي بالقرب من فيلادلفيا، كانت نتيجتها خروج الجيش النبطي الذي كان بقيادة إلتيموس (Elthemus) مهزومًا.

---

[٢٥] ولا نعرف السبب الدقيق، الذي دفع "أثنايو" لمساعدة الأنباط ضد الجيش اليهودي، رغم أن ملكته كليوباترا هي التي طالبت بقيام هذه الحرب ضدهم؛ فإن كان تصرف "أثنايو" بأمر من ملكته، فيعود إلى رغبتها في إضعاف الدولة اليهودية، لأن الأنباط هم في الواقع أضعفُ حالاً من اليهودية؛ أو أنها -رغم ما شاع عن عشقها لأنتباتر- رغبت في الانتقام منه لما نما إليها من تخطيطه لاغتيالها، ولم يردعه إلا خوفه من رد فعل روما صديقة كليوبترا (Josephus, 1998, p.485)؛ لكن إن كان تصرف القائد الروماني من تلقاء نفسه دون الرجوع لملكته، فيظهر أن لخلافاته الشخصية مع "هيرود" -كما يرى بورسوك دورًا في هذا التصرف الغريب (Bowersock, 1983, p.42).

ولعلنا نشير هنا إلى أن هذه الهزيمة لم تكن فقط هزيمة عسكرية بل معنوية وفكرية إذ انضمت -كما يذكر يوسيفوس- أعداد من الجنود الأنباط بالفرار إلى الجيش اليهودي وطالبوا "بهيرود" حاكمًا عليهم (Josephus, 1998, p.489)؛ في حين أسر البقية الذين لم يقتلوا في المعركة. ورغم الحاجة إلى دليل مادي واضح على ردة الفعل هذه من الجنود الأنباط إلا أننا لا نستبعد أن السبب وراء هذه الدعوة يعود إلى هذه الأمور الثلاثة أو أحدها:

١ - الإهانة التي يشعر بها الشعب النبطي من استمرار دفع مملكتهم لأموال طائلة لكليوبترا، واعتقادهم بأن تصرفات مَالِك وقراراته كانت وراء هذه الإهانات.

٢ - عدم رضاهم على إعدام مَالِك للوفد اليهودي المفاوض؛ هذا بطبيعة الحال إن صحت هذه الرواية اليهودية.

٣ - لم يجد هؤلاء الجنود غضاضة في مطالبتهم هذه، حيث إن أم "هيرود الكبير" من أسرة نبطية معروفة، فهم أخواله.

وما يجعلنا نعتقد أن المجموعة التي طالبت "بهيرود" حاكمًا كانت شرذمة قليلة قد لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، أن هذه الدعوة لم يكن لها صدى داخل المملكة النبطية، فقد استمر مَالِك ملكًا على الأنباط، كما أنها لم تجد الدعم والتأييد من القوة الوحيدة القادرة على تحقيق مثل هذه الأمور، وهي الإمبراطورية الرومانية.

لكننا لا نشك إطلاقًا أن من عوامل هذه الهزيمة هو الروح المعنوية المتدنية التي سببها تصرف الملك مَالِك بإعدامه للوفد المفاوض، لأن هذا التصرف كان مخالفًا للعادات العربية الأصيلة، ونحن لا ننفي حدوثه، فالسياسة لا تتعامل بالأعراف الاجتماعية؛ بل بالمصالح. بالإضافة إلى البعد الديني الذي نجح "هيرود" بإدخاله في إستراتيجية المعركة، وكلنا نعرف التأثير الديني ودوره في رفع المعنويات وتحفيزه القوي على المعتقدين به.

ومرة أخرى يتكرر موقف روما المنحاز لليهود، إذ ما أن انتهى "أوكتافيوس" من حربه مع "أنطونيوس" وحليفته "كليوباترا"، منتصرًا، حتى كافأ "هيرود" ملك اليهودية على موقفه الداعم له، رغم أن هيرود كان في بداية الصراع حليفًا وداعمًا "لأنطونيوس"، لكن تغير القوى لصالح الأول جعلته يعيد النظر في تحالفه ويتجه إلى دعم "أوكتافيوس"، فكانت المكافأة بإرجاع مزارع البلسم والنخيل في أريحا (Grant, 1971, p.96)، وكذا استرجاع أم القيس والحصن وغزة وقيسارية (Josephus, 1998, p.493). أما الأنباط الذين دعموا بكل قوة "أوكتافيوس" وفريقه إلى درجة مشاركتهم الفعلية في القتال، فقد قاموا بحرق السفن البطلمية في البحر الأحمر، كما أنهم اعتبروا انتصاره هذا عيدًا شعبيًا تقام له الاحتفالات السنوية، فإنهم لم يحصلوا على مكافأة نظير مواقفهم هذه، كتلك التي حصل عليها "هيرود" ودولته اليهودية.

أما آخر ذكر لهذا الملك الذي عانى الكثير خلال فترة حكمه الثلاثين عامًا، فكان ما أورده يوسيفوس (Josephus, 1998, p.490)، عن موافقة مَالِك على دعم "ألكسندرا" ابنة "هيركاموس الثاني" لتغيير نظام الحكم والانقلاب على "هيرود"، لكن هذه المحاولة الفاشلة من "ألكسندرا" المدعومة من مَالِك أدت إلى إعدام "هيركانوس"[٢٦].

٨ - عبادة الثالث (٣٠- ٩ ق.م):

نظراً لكبر سن عبادة عندما تقلد مقاليد الحكم، ولأن علاقة وزيره المدعو "سلي"، كانت عميقة مع الرومان، فإن المصادر التاريخية المعاصرة آنذاك- أعطت هذا الوزير مكانة مرموقة في رواياتها. فهذه العلاقة جعلته حاضرًا بقوة في المصادر التاريخية.

لهذا وصف المؤرخون مثل: يوسيفوس، واسترابو؛ هذا الملك (عبادة) بالكسل والتراخي، وأنه لم يُعر الشؤون العامة فضلاً عن العسكرية أي اهتمام (Strabo, 1930, p.357).

إن أبرز الأحداث السياسية التي حدثت في عهده هو الدعم والمساندة اللوجستية والعسكرية للحملة الرومانية على بلاد العرب الجنوبية (سبأ) في عامي ٢٥-٢٤ق.م[٢٧]. فقد تمثل الدعم اللوجستي بتذليل الصعاب والمعوقات كافة على الأرض، عن طريق السماح للجيش الروماني بقيادة "جاليوس" المرور على الأراضي التابعة للمملكة النبطية، وبحسن الاستقبال للجيش من ولاة المناطق التي مروا بها،

مثل استقبال والي إحدى المناطق الجنوبية وهو قريب للملك عبادة يدعى الحارثة[٢٨]. أو تهيئة

---

(٢٦) والقصة باختصار أن "ألكسندرا" أرسلت رسالة إلى مَالِك تطلب إرسال بعض جنوده لمساعدتها في تغيير الحكم، إلا أن حامل الرسالة اليهودي "دوسثيوس" خان سيدته وسلم الرسالة إلى "هيرود"، الذي أرسلها بدوره لمالك كي يتأكد من ردة فعله. وعندما وافق مَالِك على الدعم قام "هيرود" بالتحقيق مع "هيركانوس"، وكان حينها فقيرًا وكبيرًا في السن، فنفى علمه بهذه الرسالة إلا أن مجلس الشيوخ اليهودي، الذي عُرض عليه موضوع الرسالة قرر إعدامه بتهمة الخيانة (Josephus, 1998, p.491).

(٢٧) تعددت الأسباب التي طرحها الدارسون والباحثون وراء الحملة الرومانية، فمن قائل إنها دوافع استراتيجية، فموقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية يشرف على منافذ بحرية مهمة أغرت روما بالعمل بكل جد للسيطرة عليها؛ وآخرون حصروها في دوافع اقتصادية تمثلت في السيطرة على طريق البخور من عمق اليمن القديم (الجرو، ١٩٩٦م، ص١٩٦؛ Bowersock, 1971, p.227). ونحن لا نستبعد أن هذين الدافعين كانا ضمن الدوافع التي دفعت روما للموافقة على طلب الأنباط بالقيام بتلك الحملة.

(٢٨) وقد أطلق استرابو (Strabo, 1930, p.359)، على المنطقة التي يحكمها الحارثة اسم "أرض الحارثة"، مما جعل بعضهم يعتقد أنه ملك مستقل على علاقة طيبة بالأنباط (علي، ١٩٩٨م، ص١٢٥؛ موسل، ١٩٨٨م، ص١٢٥). بطبيعة الحال لا نرى في قول جلاسر إن الحارث هذا هو الحارث الذي ذكره الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب.

المكان المناسب لإقامة المعسكرات والمخيمات العسكرية لهذا الجيش. أما الدعم العسكري فتمثل برأينا في تزويد الجيش الروماني بفرقة عسكرية وصلت إلى ألف رجل.

وقد اختلف الباحثون حول سبب الدعم النبطي هذا؛ فكثير منهم يرى أن الأهداف الشخصية للوزير النبطي "سلي" كانت المحرك الأساسي لذلك؛ سعيًا منه لكسب ثقة أقوى القوى السياسية آنذاك ـــ روما. إذ لم يستبعد هؤلاء أن طموح سلي هو تقلد الحكم بعد وفاة سيده "عَبادة"، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الملك النبطي يحتاج إلى مباركة الأمبراطور الروماني ليضمن الاستقرار السياسي، وأن الملك ـ في حالتنا هذه ـ قد طعن في السن.

ورغم هذه التساؤلات ومشروعية الحجج التي ذكروها إلا أن ما يجعلنا نتوقف قليلاً عند هذه الآراء أنها تلغي على حد كبير القوى السياسية الداخلية غير "سلي"، وتعطيه مكانة تصل إلى حد استفراده بالحكم. وهو أمر يصعب قبوله أو تبنيه دون دليل واضح، فمعلوماتنا عن هذا الوزير جاءت في معظمها مرتبطة بالأحداث ذات العلاقة بروما؛ لذلك فإن المؤرخ الذي كتب عن "سلي" أغفل التطرق إلى القادة السياسيين الآخرين الذين لهم علاقة مباشرة بالشؤون الداخلية، في حين كان التركيز على ما له علاقة باهتمامات روما[٢٩].

فالأمر بالنسبة لنا- لا يخرج عن أن عُبادة أعطى الضوء الأخضر بموافقته على الدعم والمساندة لهذه الحملة الرومانية لوجستيًا وعسكريًا، خصوصًا أن "أسترابو" قد أشار إلى أن الأنباط هم من شجع روما على القيام بهذه الحملة[٣٠]؛ فاستقبال الوالي النبطي وهو القريب من الملك عبادة نَعّدهُ دليلاً واضحًا على الدعم الملكي لهذه الحملة، وإلا -على الأقل- لوقف موقفًا سلبيًا منها، لعلمه بأهداف "سلي" الخفية والواضحة لكل سياسي محنك.

وإذا أخذنا بقول "استرابو" إن الأنباط هم الذين شجعوا روما للقيام بهذه الحملة، فما مطامع الأنباط التي يسعون لتحقيقها لدولتهم ولأنفسهم؟ وللإجابة عن هذا السؤال علينا في البداية أن نأخذ بعين الاعتبار الظروف السياسية آنذاك في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية؛ فالمعروف أن اليمن كان يلفظ النفس الأخير من مرحلة سياسية عُرفت عند المؤرخين باسم: عصر ملوك سبأ، الذي انتهى في عام ١٥ق.م، أي بعد عشر سنوات من الحملة الرومانية. ونحن نعلم من

(٢٩) وفي وقتنا الحاضر نجد أن الصحافة الغربية تركز على الشخصيات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالأحداث المرتبطة بالغرب سواء أكان حليفًا أو عدوًا لمصالحهم؛ ولا يخفى علينا على سبيل المثال الهالة الإعلامية التي حظي بها وزير البترول السعودي أحمد زكي يماني في وسائل الإعلام الغربية إبان توليه وزارة ذات علاقة مباشرة بمصالح الغرب الاقتصادية وزارة البترول والمعادن، مع أنه لم يكن يتمتع بالقوة السياسية التي تمتع بها الكثير من الشخصيات سواء من الأسرة الحاكمة أو غيرها.

(٣٠) الجدير أن عباس، ١٩٨٧م، ص٥٣، يرى أن تعبير الأنباط في عبارة استرابو يقصد به "سلي"، وهو أمر بالنسبة لنا غير مقبول، فلو كان المقصود به الوزير لحدده استرابو بالاسم.

المصادر الكتابية أن ثورة قامت في مدينة مأرب استمرت لمدة خمسة أشهر، بل إن الفترة الواقعة بين عامي ١٦٠-١١٠ق.م، غير واضحة المعالم والأحداث، فيما عدا أمرين:

أولهما: أن اليمن كانت خلال هذه الفترة تمر بمرحلة، يمكننا أن نطلق عليه "مرحلة الضعف والوهن".

ثانيهما: أن بعض الباحثين يقترح دون الجزم بذلك أن "الشرح يحصب" هو ملك سبأ إبان الحملة الرومانية.

وإن كان الوضع كذلك فهو أمر مقلق للأنباط اقتصاديًا وأمنيًا. فهذه الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي يؤثران بشكل مباشر على الاقتصاد النبطي، وهو العمود الفقري لأي دولة؛ لذلك رأت القيادة النبطية -وليس كما يشاع الوزير سلي- إخضاع اليمن لأقوى النظم السياسية آنذاك- وهي الإمبراطورية الرومانية. فالأنباط يعلمون أن قدرتهم العسكرية لا تكفي لإخضاع الممالك اليمنية، ولا تأثيرهم الإقليمي يسمح لهم بالهيمنة على الأوضاع الداخلية لليمن، بل إن القبائل اليمنية لن تقبل بتدخل الأنباط في شؤونها الداخلية ناهيك عن التبعية لهم. لهذا -كما نرى- لم يكن أمام الأنباط إلا دفع روما وتشجيعها لغزو سبأ[٣١]، لأن التواجد الروماني كان سيضمن على الأقل عودة الحياة مرة أخرى إلى الطرق التجارية، وإلى مسارها السابق.

وكما ذكرنا أعلاه من بزوغ نجم الوزير "سلي" المفكر، الذي عمل جاهدًا لتحقيق رغبات قيادته النبطية، نرى من المناسب التوقف عند هذا الوزير، الذي لقب مرات بلقب "أخي الملك"، والمقصود به العضد الأيمن أو اليد اليمنى للملك عبادة. فهو يذكرنا بالوزير "امنحتب" في عهد سنفرو من الأسرة الفرعونية الرابعة. ففي إحدى زياراته المتعددة للدولة اليهودية وقع في غرام "سالومة"، وهي كما ذكرنا سابقًا ثمرة زواج "أنتباتر" الأدومي من "كفرت" النبطية، وهي كذلك أخت الملك "هيرود الكبير"، فأحبها، وهي كذلك بادلته الشعور ذاته، لكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة عندما أشترط أخوها "هيرود" للموافقة على زواجهما اعتناق "سلي" لليهودية؛ لأن موافقة سلي على هذا الشرط كان بمثابة إعدام مجازي له، فإن قبل فهو لا محالة سيفقد مكانته ومسؤولياته في الدولة النبطية لأنه سيغير ديانته الوثنية المعترف بها من الأنباط إلى اليهودية. وقد كان رده بكل وضوح: "لو فعلتُ ذلك لرجمني قومي" (Josephus, 1998, p.528). وهي إشارة واضحة وجلية أنهم لن يقبلوا شخصًا يدين بديانة غير ديانتهم تكون له المكانة السياسية التي كان يتمتع بها "سلي".

---

[٣١] ولتقريب هذا الأمر من ذهن القارئ نذكره أن المعارضة العراقية هي التي قدمت معلومات مغلوطة لأمريكا لغزو العراق، وبدعم من دول الجوار، التي كانت متضررة إلى حد بعيد من تسلط النظام العراقي. وعندما تدخل المحتل الأمريكي وجد متأخرًا أن غزوه هذا جاء لمصلحة قوى سياسية معينة، فلا المعارضة العراقية ولا دول الجوار كانوا قادرين على إنهاء النظام العراقي.

ورغم إنه وزير إلا أن غصة واضحة أصابته بعد رفض "هيرود" زواجه من أخته إلا إن اعتنق اليهودية، لذلك جاءت ردود أفعاله منافية لوضعه السياسي الذي كان يفترض أن يصب في مصلحة الدولة النبطية لا مصلحته الشخصية، ضاربًا بعرض الحائط مصلحة الدولة والشعب النبطي؛ فلم يتردد في إيواء أربعين هاربًا اعتبرتهم الدولة اليهودية لصوصًا (Josephus, 1998, p.531)؛ في حين نظر إليهم "سلي" على أنهم سياسيون ثائرون على حكم "هيرود". وهكذا لم تكن ردة فعل "هيرود" الاعتراض فقط على الإيواء، بل فتح ملفات كانت منسية، منها أن قرضًا ماليًا حصل عليه "سلي" من "هيرود" (Josephus, 1998, p.531)، تلكأ الأول في سداده. ولم يجد "هيرود" بدًا من تشويه سمعة "سلي"، فرفع شكواه عن القرض المالي وإيوائه للأربعين هاربًا، لا إلى الحاكم الروماني لسوريا فقط، بل أيضًا إلى الحاكم الروماني في لبنان. عندها رأى "سلي" أن يستغل مكانته في روما فذهب إلى الإمبراطور "أغسطس"، الذي أحسن استقباله. وفي هذه الأثناء قام "هيرود" بإرسال فرقة عسكرية دخلت الحصن الذي تحصن به الثائرون اليهود- بأسلوب القوات الخاصة (الكومندوز)، وأحضرتهم إلى الدولة اليهودية، لكن الأنباط أرسلوا فرقة عسكرية لإعادة الثائرين مرة أخرى، إلا أن الفرقة اليهودية هزمتهم وقتلت منهم خمسة وعشرين جنديًا (Josephus, 1998, p.531). وما أن علم "سلي"، بهذه العملية ونتائجها حتى قام بنقل الخبر "لأغسطس" بصورة مشوهة، أدت إلى غضبه من "هيرود"، حتى أنه رفض استقبال سفرائه؛ ولهذا أرسل "سلي" رسالة إلى الملك عبادة يشير عليه بعدم رد القرض أو تسليم الثائرين (Josephus, 1998, p.532).

لكن هل استمرت الأمور على هوى سلي؟ الجواب: لا، لم تجرِ كما كان يحب ويأمل فقد وصلت الأخبار إلى روما أن "عبادة" قد توفي، وأن قائدًا للجيش النبطي اسمه هانئ قد أصبح ملكًا على البلاد (انظر أدناه).

وقد تعامل هذا الوزير الراغب في السلطة في سعيه للحصول عليها مع جبهتين: الأولى داخلية، والثانية خارجية. وتتمثل الأولى في صراعه مع هانئ، الذي سمى نفسه الحارثة ومؤيديه، فاستخدم أسلوبين مختلفين معهم أحدهما التحريض المباشر، فقد حرض أتباعه في رسالة بعث بها إليهم العمل على القضاء على الحارثة وتسليمه هو عرش الدولة (Lowler, 1974, p.103)، أما الأسلوب الثاني فهو الاغتيالات السياسية التي ذهب ضحيتها عدد من الأعيان والنبلاء في البتراء (عباس، ١٩٨٧م، ص٥٦). أما الجبهة الخارجية فتمثلت بالقوى الإقليمية وهي الدولة اليهودية، والدولة العظمى وهي الإمبراطورية الرومانية؛ فقد استخدم مع القوة الإقليمية وهي الدولة اليهودية، أسلوب الاغتيالات، التي لم تكن موجهة فقط لكبار المسئولين فيها بل طالت رمز الدولة آنذاك "هيرود"، فقد أرسل شخصين نبطيين تمكنا من استمالة المدعو "كورنثيوس"، وهو أحد حراس "هيرود" بمبلغ من المال ليقوم باغتيال "هيرود"، لكن الصدفة التي أدت إلى القبض عليه، والتحقيق المقترن بالتعذيب الجسدي جعلاه يكشف مخطط سلي (Josephus, 1998, p.545). وبالنسبة للدولة العظمى "روما"، فإن الأسلوب الوحيد الذي

عمل عليه سلي، إضافة إلى حملة التشويه والإضرار بسمعة الحارثة، هو أسلوب الرشوة المتمثل بالإغراءات المالية، فيروي "يوسيفوس" أن سلي قد دفع أموالاً طائلة لعدد من رجال البلاط الإمبراطوري سعيًا منه لاستمالتهم إلى كفته، بل إنه أيضًا على رواية "يوسيفوس" لم يستثنِ الإمبراطور نفسه من الهدايا والوعود (Josephus, 1998, p.545).

ولعلنا نختم حديثنا عن هذا الوزير المثير للجدل، أنه الوحيد -على حد علمنا- من القيادات غير الملكية، الذي سك عملات خاصة به، وذلك للمكانة والوضعية السياسية التي كان يتمتع بها، (Meshorer, 1975, pp.38-40)؛ بل كما يبدو أن مواقفه هذه لاقت الاستحسان والتعاطف من عدد من القبائل العربية، لأنه -بكل بساطة- اعتبر من المعارضين لروما، لذلك أرخ بعض الباحثين بأحداث تعود إليه نحو النقش المكتوب بالقلم الصفوي الذي أرخه كاتبه بسنة قدوم سلي من روما (العبادي، ١٩٩٧م، ص ص١٤١-١٥١).

وعلى الرغم من محاولات سلي المستميتة تشويه سمعة الحارثة باتهامه بأن له يدًا في مقتل "عبادة"، التي لاقت -أي رواية وتبريرات سلي- في البداية أذنًا صاغية من الإمبراطور الروماني، إلا أن "أغسطس" اكتشف أن رواية سلي لم تكن صحيحة، بعد استماعه إلى التبريرات التي نقلها الوفدان اليهودي والنبطي، ومفادها أن هذا الوزير كان وراء تسميم عبادة؛ لهذا لم يجد سلي أمامه سوى مغادرة روما، والعودة إلى البتراء، وقلبه يعتصر ألمًا وغضبًا؛ مما دفع بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن الاغتيالات التي طالت عددًا من أعيان الدولة النبطية كان وراءها سلي نفسه، بل إن محاولة اغتيال هيرود الفاشلة أعادها المؤرخون إلى سلي وجماعته. لهذا ما أن عاد سلي إلى روما سنة ٦ق.م حتى أصدر الإمبراطور الروماني أمرًا بإعدامه.

ورغم معرفة السلطات النبطية بأن الاغتيالات التي أعقبت عودة "سلي" إلى البتراء كان خلفها هو نفسه إلا أنها لم تتخذ بحقه أي إجراءات قانونية، فهل يعود هذا إلى تخوف السلطات النبطية من رد فعل روما، أم أنها لم تمتلك الأدلة الكافية التي تدينه؟

وقبل أن نختم حديثنا عن عبادة الثالث ووزيره الطموح "سلي"، أجد من الأهمية بمكان الإشارة إلى حادثة تدل على عدم تروٍ من القيادة النبطية، إذ وافقت القيادة النبطية على عرض تقدم به "زيندروس" حاكم الطوريين لبيع منطقة حوران بمبلغ قدره خمسون تالنت من الفضة[٣٢] (Josephus, 1998, p.505)؛ وكان هذا استعجالاً منهم، فقد رفض "أغسطس" الاعتراف بهذه الصفقة، فخسر الأنباط باستعجالهم وعدم ترويهم المبلغ الذي استلمه "زيندروس"، ولم

(٣٢) يبدو أن "زيندروس" استغل بعرضه هذا طيبة القيادة النبطية أو سذاجتها، وذلك لعلمه بأن هذه الأراضي لم تعد تابعة له؛ إذ لو لم يكن ماكرًا لما تصرف هذا التصرف؛ فالمعروف أن الإمبراطور أغسطس قد أمر قائده "فاروس" بإعطاء هذه المقاطعات لهيرود ملك اليهودية، كانت في الأصل مؤجرة "لزيندروس" حاكم الطوريين.

يحصلوا على أراضي حوران. وكان سبب عدم مباركة "أغسطس" لهذه الاتفاقية أنه قد منح هذه الأراضي إضافة إلى مقاطعتين أخريين إلى "هيرود" ملك اليهودية نظير مساعدته في القضاء على ظاهرتي السلب والنهب التي درج عليها عدد من القبائل المحلية في إقليمي "تراخونيا" و "حوران" (Grant, 1971, p.138)[٣٣].

٩ - الحارثة الرابع (٩ق.م-٤٠م):

يُعد الحارثة الرابع عند غالبية المهتمين بالتاريخ النبطي أحد القادة العسكريين في الدولة الذي استغل الفراغ السياسي بوفاة الملك عبادة الثالث فاستولى على الحكم؛ وبطبيعة الحال بدعم واضح من عدد من الجهات الرسمية وغير الرسمية، التي كما نعتقد- رأت في دعمها للحارثة هذا تخلصًا من أحد أكبر مراكز القوى، التي أساءت بتصرفاتها وقراراتها لا للدولة النبطية فحسب، بل وللشعب كذلك، وهو الوزير سلي. وذلك استنادًا إلى رواية المؤرخ اليهودي "يوسيفوس"، ومفادها أن الذي تقلد الحكم بعد وفاة عبادة متأثرًا بالسم شخص يدعى "إينياس"، الذي يعادل بالعربية العلم "هانىء"؛ وحال نجاحه في تقلد زمام الحكم غير اسمه إلى الحارثة، أي "ألأسد" في حركة ذكية منه لكسب ود وتأييد الأنباط التقليديين الملكيين، وتحديدًا الذين في أطرف الدولة والمناطق البعيدة نسبيًا من العاصمة البتراء.

ورغم أننا نميل إلى القول السابق، إلا أن بعض الباحثين يعتقد أن الحارثة الرابع ليس إلا ابنًا لعبادة الثالث، ولهذا فهو الوريث الشرعي للعرش (Meshorer, 1975, p.41)؛ ومما اعتمد عليه هؤلاء نص نبطي القلم (Taylor, 2001, p.66) عُثر عليه في منطقة الزنطور وسط مدينة البتراء يقرأ على النحو التالي: "... ديودورس القائد، لحياة الحارثة ملك الأنباط، والملكة هَجْر ابنة مَالِك ملك الأنباط".

لكن ما يضعف هذا الاستشهاد هو عدم ذكر صاحبه (كاتبه) للقب الذي اشتهر به الحارثة الرابع، والذي اتخذه على عملاته في أواخر السنة الأولى من حكمه، وهو: ر ح م ع م هـ، أي "محب شعبه". إضافة إلى أن الحارثة الرابع لم يذكر في رسائله الموجهة إلى الإمبراطور الروماني أغسطس أبدًا أن عبادة هو والده؛ ثم أين الحارثة عندما كان الوزير سلي يتصرف بأسلوب غير مسؤول تجاه الأحداث التي واجهتها الدولة النبطية. ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الوريث الشرعي إلى موافقة روما؛ إذ لم نجد حتى الآن ما يدل على أن أحدًا من ملوك الأنباط الآخرين قد أَخَذَ الموافقة المباشرة، فموافقة روما كانت ضمنية لموافقتها أصلاً على تقلده ولاية العهد، وهو ما

---

(٣٣) في البداية كانت هذه الأراضي تابعة "لزيندروس"، لكن قيام القبائل المحلية بالسلب والنهب وعدم اتخاذه لإجراءات رادعة بحقهم دفع الجيش الروماني إلى التدخل والقضاء على هذه القبائل بمساعدة "هيرود"، وكمبادرة شكر وعرفان من "أغسطس"، قرر سحبها من "زيندروس" ومنحها لهيرود، وذلك بعد أن تقدم أهالي دمشق بشكوى إلى الحاكم الروماني في سوريا "فاروس".

لم يكن -كما نعتقد- بالنسبة للحارثة الرابع، فلم يقبل الإمبراطور في البداية استقبال الوفد الذي كان محملاً بالهدايا المصنوعة من الذهب والمرصعة بالأحجار الكريمة وغيرها من الهدايا والعطايا الذهبية مشفوعة برسالة ضمنها تهمًا كثيرة عديدة (Josephus, 1998, p.532) أهمها:

١- اتهامه لسلي بقتل عبادة الثالث من خلال دفعه أعوانه لوضع السم في الطعام المقدم لعبادة.

٢- عزوه الحالة الاقتصادية السيئة التي مرت بها الدولة النبطية، إضافة إلى الفوضى السياسية التي تمر بها المنطقة- إلى سوء إدارة سلي، الذي وصل به الفساد إلى استخدامه القروض التي حصل عليها من "هيرود" لمصلحته الشخصية، لا لمصلحة الدولة النبطية.

٣- إشارة الحارثة بشكل واضح إلى التصرفات الأخلاقية السيئة التي درج عليها سلي، باتهامه بممارسة أمور غير أخلاقية ليس فقط مع الزوجات النبطيات، بل مع النساء الروميات. وهذا الاتهام الأخير هو -في تصورنا- تأكيد على أن الحارثة الرابع لم يكن وريثًا شرعيًا بل مغتصبًا، فهو اتهام يدل على الإفلاس السياسي ومحاولة التلاعب بالعواطف.

٤- إن محاولات الوزير سلي لاغتصاب السلطة لم تكن وليدة اليوم، بل تعود إلى أيام عبادة الثالث نفسه.

لكن الإمبراطور الذي كان قد طرد في المرة الأولى الوفد النبطي، سمح هذه المرة له بالدخول، وقبِلَ الهدايا والعطايا المقدمة من الوفد نيابة عن الحارثة الرابع؛ وقد استهل اللقاء بتوبيخ الحارثة الرابع على تقلده الحكم، أو لنقل استيلائه على الحكم دون رضى روما، وفي نهاية كلمته أعلن الإمبراطور موافقته واعترافه الرسمي بالحارثة ملكاً على الأنباط مع قبوله بالهدايا (Josephus, 1998, p.536).

ولعل من اللافت للنظر أن تغير موقف الإمبراطور وجعله يوافق على مقابلة الوفد بعد رفضه وطرده له، هو دفاع الوفد اليهودي، الذي أرسله "هيرود الكبير" للدفاع عنه برئاسة "نيقولا الدمشقي" أحد أبرز معاوني "هيرود"، وهو مؤرخ البلاط الهيرودي، الذي يتميز بأنه كان خطيبًا مفوهًا[٣٤]، فقد اعتمد في دفاعه عن الحارثة الرابع بتأكيده على خيانة سلي؛ لأنه كان خلف مقتل عبادة الثالث[٣٥].

---

(٣٤) انصبّ غضب الإمبراطور أغسطس على ملكي الدولتين اليهودية "هيرود الكبير"، والنبطية الحارثة الرابع، فالأول لقيامه بمهاجمة الحصن للقبض على الثائرين، دون أخذ موافقة روما (Josephus, 1998, p.532). لذلك قرر إرسال "نقولا الدمشقي"، الذي تبنى وجهة نظر الحارثة الرابع، بغرض تحقيق أمرين مهمين، الأول: شرح مبررات هجومه على الحصن النبطي، وكشف كذب رواية سلي، والثاني: زعزعة ثقة الإمبراطور أغسطس بالوزير سلي؛ والواقع يدل على نجاح المؤرخ اليوناني الأصلي "نيقولا الدمشقي".

(٣٥) نرى أن الأسلوب الذي اتبعه "نيقولا الدمشقي" في دفاعه عن الحارثة الرابع كان أرقى وأوقع في النفس من أسلوب رسالة الحارثة نفسه، التي لم ترق إلى مستوى الحدث.

وكما ذكرنا سابقًا فإن "الإمبراطور أغسطس" لم يكن راضيًا على الحارثة ومجموعته لاستيلائهم على الحكم دون موافقة روما.

وقد تميزت فترته بثلاثة أمور:

الأول: المدة الزمنية الطويلة التي استمر فيها في الحكم، فقد وصلت إلى "٤٩" سنة؛ مما يدل على أنه أثناء استيلائه على الحكم، كان صغيرًا في السن فيما بين الثلاثين والأربعين. وصغر سنه هذا يعني أنه لم يكن عند استيلائه على الحكم قائدًا عسكريًا كبيرًا في الجيش النبطي، إذ يبدو أنه كان قائدًا لفرقة أو قاعدة عسكرية.

الثاني: علاقاته الخارجية التي كانت واضحة مع الدولة الأكثر قوة دوليًا وهي روما، والدولة الجارة اليهودية.

وقد حملت العلاقة مع روما الجانبين السلمي والعدائي، وقد تمثل الجانب الأول في التالي:

١ - تقديم الحارثة الهدايا والأموال للإمبراطورين الرومانيين، الأول أغسطس وذلك في السنة الأولى من تقلد الحارثة مقاليد الحكم، والثانية جاءت بعد اثنين وعشرين عامًا من الهدية الأولى، وكانت عبارة عن مأدبة أقامها الحارثة بمناسبة تقلد "طيبارس" الحكم (العرش) في روما، تخللها تقديم هدايا للإمبرطور الجديد منها تيجانٌ ذهبية (Lawlor, 1974, p.112).

٢ - مساعدته للجيش الروماني بقيادة "فاروس"، أثناء محاولة الرومان القضاء على الثورات والقلاقل التي اندلعت في الدولة اليهودية، بعد وفاة "هيرود الكبير"، وتحديدًا في السنة الرابعة قبل الميلاد.

وكانت المشاركة النبطية قد تمثلت في عدد من الفرق العسكرية (Josephus, 1998, p.565)[٣٦].

وقد اضطر القائد الروماني "فاروس"، كما يقول "يوسيفوس" لاحقًا إلى طرد القوات النبطية؛ لأنهم تفرغوا لسلب وإحراق القرى (Josephus, 1998, p.565)؛ وإن كان حصول السلب والنهب من بعض الجنود أمرًا مقبولاً، ويحدث من قبل القوات المحتلة قديمًا وحديثًا، إلا

---

[٣٦] أشار يوسيفوس (Josephus, 1998, p.564)، إلى أن مشاركة الأنباط لروما في هذه الحملة كانت بسبب كراهية الحارثة "لهيرود"، ولرغبته -أي الحارثة- في كسب عطف وتأييد الرومان؛ وبالنسبة لنا فإننا نجد صعوبة في قبول السبب الأول، فالأحداث التي كانت قبل عام ٤ ق.م، وما بعده تنفي مثل هذا القول إذ إن الوفد اليهودي برئاسة "نيقولا الدمشقي" وبمباركة من "هيرود الكبير" نفسه كان له الدور الأساسي في اعتراف روما بشرعية الحارثة، إضافة إلى أن كليهما قد تعرضا للإساءة من سلي. كما أن زواج ابن "هيرود الكبير" المدعو "أنتيباس" من سعدة ابنة الحارثة والعلاقات السلمية التي استمرت كذلك على الأقل حتى السنة السابعة والعشرين للميلاد تدحض مثل هذا القول.

أننا لا نتفق مع المؤرخ "يوسيفوس" في اتهامه للقوات النبطية بحرق القرى هكذا اعتباطًا. وإن حدث شيء من هذا فهو بكل تأكيد، إما تنفيذًا لأوامر مباشرة من القائد الروماني، أو مشاركة منهم للقوات الرومانية في فعلها هذا.

أما الجانب الآخر العدائي فتمثل في المثالين التاليين الأول: الحملة التي عُرفت باسم حملة غايوس (Gaius) (Graf, 1978, p.6; Bowersock, 1971, p.227)، والتي كان من أهدافها تأديب القبائل العربية التي وجدت في تغيير الإمبراطورية الرومانية لطريق تجارة التوابل والبخور من ميناء "لاكي كوما" إلى موانئ أخرى على الجهة الغربية من البحر الأحمر، ومن ثم نقلها عن طريق البر إلى الإسكندرية مبررًا قويًا للسلب والنهب.

أما المثال الثاني فهو ردة فعل "طيبارس" على الشكوى التي رفعها "هيرود" ضد الحارثة (انظر أدناه)، والتي اتخذ فيها قرارًا -بعد واحد وعشرين عامًا- من المأدبة التي أقامها له والهدايا التي قدمها، وتحديدًا في العام الخامس والثلاثين للميلاد، بأن أمر قائده في سوريا "لوقيوس فتليوس" بالقيام بحملة تأديبية على الأنباط، وأن يأتي بالحارثة حيًا مكبلاً بالقيود، أو ميتًا (Josephus, 1998, p.581).

لكن هذه الحملة رغم تحرك فرقتين من الجيش فإنهما لم تصلا للبتراء بسبب وفاة الإمبراطور. والغريب -كما تذكر الروايات التاريخية المعاصرة- أن أحد كهنة الحارثة الرابع قد تنبأ بأن الجيش الروماني لن يدخل البتراء[٣٧].

أما علاقاته بالدولة اليهودية فإنها كانت طيبة، وتحديدًا بين عامي ٩ق.م، و٢٧م، أي لمدة ستة وثلاثين عاما؛ لسببين هما:

١ - الخلاف الذي كان بين "هيرود" ونظام عبادة، وخاصة مع الوزير سلي (انظر أعلاه)؛ فكان أن نشأت بعد ذلك علاقة طيبة.

٢ - الاقتران الذي كان بين ابنة الحارثة الرابع "سعدت" وصاحب الجليل "هيرود انتباس"[٣٨].

لكنها بعد العام السابع والعشرين للميلاد دخلت علاقتهما مرحلة من الاضطراب وسوء النوايا، حتى تطور الأمر في العام الخامس والثلاثين للميلاد إلى التصادم العسكري. والغريب أن

---

[٣٧] ذكر يوسيفوس، أن العرافين قد أخبروا الحارثة الرابع أن الجيش الروماني لن يدخل البتراء لأن أحد القادة الثلاثة وهم: الإمبراطور "طيباروس"، أو القائد الروماني "فيتليوس"، أو الحارثة نفسه سيموت (Josephus, 1998, p.581)، مما سيجبر الجيش على التوقف عن التقدم إلى البتراء.

[٣٨] تعددت آراء الدارسين حول السنة التي تم فيها الزواج، فبعضهم يرى أن الزواج كان في عهد "هيرود الكبير" (Safira, 1974, p.284)، وهناك من يعتقد أن الزواج قد تم بعد إخماد الثورة اليهودية، التي اندلعت بعد وفاة "هيرود الكبير" (Lowler, 1974, p.109).

الذي أدى إلى هذا التصادم العسكري وقد كاد أن يقضي على حكم الحارثة لولا وفاة الإمبراطور "طيبارس"، هو خلاف عائلي نشب بين ابنة الحارثة وزوجها "هيرود انتيباس"، الذي وقع في غرام "هيروديا س" زوجة فيليب صاحب "اللجا حوران والبثنية"[٣٩]، وقد رغب الاقتران بها؛ ورغم أنها كانت على ذمة بعلها فيليب.

وقد تلقت "هيروديا س" طلب "هيرود انتيباس" بكل ترحاب، ولكنها اشترطت عليه -فيما يبدو- تطليق زوجته "سعدت" ابنة الحارثة الرابع. والجدير بالذكر أن هذا الزواج لم يلق القبول والترحيب من كثير من فئات المجتمع اليهودي، ولعل أبرزهم يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام)، الذي لم يمنح مباركته لهذا الزواج، بل وذكر أنها لا تحل له[٤٠].

تذكر بعض الروايات أن هيردوت أراد الزواج من ابنة أخيه وقد باركت أمها هذا الزواج، الذي يخالف تعاليم اليهودية، ولذا عارضه يحيى (عليه السلام)، ولم يكن الزواج من زوجة أخيه.

وما أن علمت ابنة الحارث بنية زوجها وبسبب غيرتها وخوفها من أن يحقق شرط هيروديا س طلبت موافقته على الذهاب لقلعة "مكاور"، الواقعة إلى الشرق من البحر الميت، وهي المنطقة الحدودية بين المملكتين (النبطية واليهودية)، بدعوى رغبتها قضاء فترة من الزمن هناك، لكنها كانت تخطط للهرب؛ فما أن وصلت للقلعة حتى التقت بعدد من قواد والدها (Josephus, 1998, p.586)، الذين أدخلوها على وجه السرعة إلى الأراضي النبطية، ومن ثم أوكلت مهمة توصيلها سالمة إلى البتراء لكل حاكم من حكام المناطق التابعة لوالدها الذين عملوا على مساعدتها وتزويدها بفرق عسكرية لحمايتها وتوصيلها حتى بلغت البتراء.

وما أن أبلغت أباها بنية زوجها الاقتران من "هيروديا" وشرطها التعسفي حتى -كما يقول بعض المؤرخين على سبيل المثال انظر (عباس، ١٩٨٧م، ص٦٤)- استشاط غضبًا ورأى ضرورة الانتقام لما حصل مع ابنته[٤١]، إلا أننا قد نخالف الآخذين بهذا القول؛ إذ إن أول تصادم عسكري بين الأنباط واليهود كان بعد الخلاف وهروب الأميرة بثماني سنوات، فلماذا لم يقم

---

(٣٩) نشب هذا الخلاف بعد مرور ما بين ٢٧ إلى ٣٠ عاماً من زواجهما، وذلك بعد أن التقى "هيرود انتيباس" خلال إحدى زياراته لروما بزوجة أخيه من أبيه "فيليب"، المدعوة "هيروديا س"، فوقع في غرامها، وعشقها، ولم يتمالك نفسه -رغم أنها كانت في ذمة رجل آخر- من مفاتحتها بالزواج (Josephus, 1998, p.580).

(٤٠) الجدير بالذكر أن الشريعة اليهودية لا تحرم مثل هذا الزواج؛ لذلك لا يُعرف السبب الحقيقي وراء رفض يوحنا المعمدان لهذا الزواج، الذي فَقَدَ حياته بسبب فتواه هذه.

(٤١) الواقع أن المحلل والدارس التاريخي يجد غرابة كبيرة في تحديد دوافع هذا الغضب من الحارثة؛ فقد عرض مملكته إلى السقوط بسبب ذلك؟ لكنه ردة الفعل الطبيعة لكل دكتاتور لا يأبه لمصالح شعبه ودولته.

الحارثة بالانتقام في السنة التي حدث فيها هذا الخلاف؟ إن المؤكد تاريخيًا أن الحارثة شن هجومًا عسكريًا في العام الخامس والثلاثين للميلاد، وذلك بعد وفاة "فيليب" بعام واحد، فهل استغل المعارضة والغضب الشعبي الذي ظهر بين طبقات الشعب اليهودي بسبب زواج "هيرود" من قريبته وسجنه لزوجها، بل وقتله للنبي يوحنا المعمدان؟. هذا في الحقيقة ما نعتقده، فقد سار الجيش النبطي إلى شمال اليرموك وتحديدًا في موضع عُرف باسم "جمالا"، يقع إلى الشمال من نهر اليرموك، وإلى الشرق من بحيرة طبريا، وفيه دارت معركة[٤٢] بين الطرفين انتهت بانتصار معتبر للأنباط أعاده المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" إلى غضب الرب على "هيرود" لقتله ظلمًا وعدوانًا النبي "يوحنا" (Josephus, 1998, p.580)[٤٣]. لهذا -وكما ذكرنا سابقًا- جرد القائد "لوقيوس فتليوس" حملة إلى البتراء[٤٤] باءت بالفشل نتيجة لوفاة الامبراطور "طيباريوس".

وقبل أن نختم حديثنا عن هذا الملك الذي أمضى مدة طويلة في الحكم نشير إلى أمرين هما:

أولاً: ألقابه التي اتخذها، وهما لقبان، الأول: "محب شعبه" الذي ظهر على نقوده في أواخر السنة الأولى من حكمه (٩/٨ ق.م)، الثاني: "المحب لأبيه"، وهو لقب قليل الاستخدام، لكنه يرد في النقوش الثنائية اللغة (النبطية واليونانية) (Littmann, 1914, p.x; Kammerer, 1929, p.212).

ثانيًا: اعتقاد بعض الباحثين أن الحارثة الرابع قد استولى على دمشق، معتمدين على ما ذكره "بولس" في رسالته الثانية من أن دمشق كانت في مدته تحت السيطرة النبطية: "الأنباط في دمشق، والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني، فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه" (Taylor, 1992, p.726; Kammerer, 1929, p.253; Littmann, 1914, p.6; Bowersock, 1981, p.68؛ علي، ١٩٧٨م، مج٣، ص٤٥؛ جونز، ١٩٨٧م، ص١١٨)؛ في حين ينكر بعض الباحثين هذا القول (Starcky, 1955, 0.98)؛ لكننا نتفق مع ما

---

[٤٢] الجدير بالذكر أن الدارسين قد اختلفوا في تحديد الفترة الزمنية لهذه المعركة فهناك من يرى أنها حدثت في العام الرابع والثلاثين الميلادي (Browersock, 1983, p.65)، وآخرون يرجحون العام السادس والثلاثين الميلادي (Starck, 1955, p.97; Hammond, 1973, p.27)، في حين يقترح علي، ١٩٧٨م، مج٤٣، أن المعركة حدثت في العام السابع والثلاثين الميلادي. ولعل من الآراء اللافتة قول المحيسن، ١٩٩٦م، ص٣٥، إن الحرب قد وقعت قبل العام الميلادي الرابع والثلاثين، لأن المنطقة التي وقعت فيها المعركة كانت بعد هذا العام تابعة للسيطرة الرومانية.

[٤٣] من الجدير أن نشير إلى أن مملكة "فيليب" قد ضمت بعد وفاته إلى الإمبراطورية الرومانية. كما أن جزءًا من قواته وجنوده قد انضم إلى جيش "هيرود".

[٤٤] كان "فتليوس" قد تأهب على رأس جيش من فيلقين من الفرسان وذوي الدروع الخفيفة، سار إلى البتراء مخترقًا الأراضي اليهودية مما أغضب اليهود لتدنيسه أرضهم المقدسة، ورفع الجيش أعلامًا عليها صورًا محرمة؛ مما دفع "فتليوس" إلى سلك الطريق الساحلي لتجنب إثارة الحساسيات عند اليهود المتدينين.

ذهب إليه هيل (Hill, 1965, p.XIX)، من عدم وجود عملات حارثية سُكت في دمشق خلال هذه المدة، مما يُصعب القول بأن دمشق كانت تابعة للأنباط خلال فترة الحارثة الرابع. بل إن العملات التي سُكت بعد خروج الأنباط من دمشق كانت تحمل صور الأباطرة: أغسطس، طيباريوس، ونيرون (Schurer, 1973, p.579; Rey, 1999, p.40).

١٠- مالك الثاني (٤٠-٧٠م):

بالرغم من مدة حكمه الطويلة نسبيًا، والتي وصلت إلى الثلاثين عامًا، إلا أن معلوماتنا السياسية عنه قليلة جدًا. وهذه المعلومات تنحصر في ما ثبت من المصادر التاريخية من أنباء تفيد بأنه -كعادة أسلافه- قد دعم الجيش الروماني بألف فارس وخمسة آلاف رجل من المحاربين المشاة غالبيتهم من رماة السهام (Josephus, 1998, p.570)، وذلك خلال حملة "تيطس" على العصيان والتمرد اليهودي ضد الرومان، وبفضل هذا الدعم تمكن الجيش الروماني بقيادة "نسبسيان" من إعادة الأمور إلى نصابها. وأما سكه للعملة، فقد نهج فيه منهج والده، حيث أظهر صورة زوجته واسمها على اسم والدته "شقيلت". ومن اللافت للنظر في اختلاف الدارسين للمعثورات والمخلفات الأثرية العائدة لفترته، فحين يرى بعضُ الدارسين تميز مدة حكمه بالركود الاقتصادي، بل والسياسي أيضًا (Negev,1982, p.126; Negev, 1969, p.13; Meshorer, 1975, p.87)، فإن هناك من يعتقد من خلال دراساته للمخلفات الزراعية والكتابية أن عصر مالك الثاني استمر في طريق التحضر والاستقرار (Starcky, 1955, p.102; Hammond, 1973, p.270; Khairy, 1980, p.164). ولعل قلة الأحداث السياسية المعروفة في عهده رجحت الرأي الأول، على الأقل بالنسبة للركود السياسي.

١١ - رب إل الثاني (٧٠ - ١٠٦م):

زادت مدة حكمه ست سنوات عن مدة حكم والده، أي أنه استمر في الحكم مدة ستة وثلاثين عامًا، لكن معلوماتنا عنه أيضًا قليلة جدًا مقارنة بمدة حكمه.

ويمكننا تميز مدة حكمه بالتالي:

١ - مدة حكمه الطويلة نسبيًا والتي وصلت كما ذكرنا إلى "٣٦" سنة، ولعل هذا عائدٌ إلى أنه قد تقلد الحكم وهو في العاشرة من عمره.

٢ - ظهور مبدأ سياسي كان معروفًا في كثير من الممالك القديمة والحديثة وهو مبدأ "الوصاية"، فقد تولت أمه شقيلت الوصاية عليه بمساعدة من الوزير "أنيس"، واستمرت هذه الوصاية مدة خمس سنوات. والطريف أن العملات التي سُكت في هذه الخمس السنوات كانت تحمل صورتها، وقد اختفت صورتها وحلت صورة زوجة رب إل "جميلت" محلها بعد أن بلغ السن القانونية، ونُصب ملكًا على البلاد.

٣ - اتخاذه مدينة "بصرى" مقرًا لإقامته الدائمة، التي حلت بعد مدة محل البتراء كعاصمة للدولة. ويظهر أن ظهور تدمر كقوة اقتصادية جاذبة، وتحويل الرومان للتجارة المارة بالبتراء إلى الموانئ المصرية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر[٤٥]، كانا من العوامل التي دفعته لاختيار بصرى عاصمة، بل واختفاء البتراء من التأثير في تاريخ المنطقة.

٤ - لقبه الذي اختاره لنفسه وهو: محي ومنقذ شعبه/أمته، ومهما كانت الأسباب التي حدته إلى اختيار هذا اللقب، فإنه لم يمنع السقوط النهائي لمملكة الأنباط على يد الرومان، الذي بدأ فعليًا في سنة ١٠٦م، وتم الانتهاء منه في العام ١١٢م، أي بعد ست سنوات من اتخاذ الإمبراطور الروماني "تراجان" قرار ضم الدولة النبطية إلى روما.

٥ - حركة العصيان والتمرد الذي قادها المدعو "دمس" (Winnett, 1973, pp.54-7)، الذي قيل إنه الأبن الأكبر لمالك الثاني، وقيل إنه أحد أبناء القبائل البدوية الطامعة بالحكم (Bowersock, 1983, p.721)، وقيل أيضًا إنه من عائلة مرموقة، فهو ابن والي الحِجْر (العبادي، ١٩٩٦م، ص ص٢٤٢-٢٤٣)؛ أما سبب هذا التمرد والعصيان منه، فيعود إلى اعتراضه على اختيار أبيه أخاه الأصغر رب إل، لولاية العهد، لكنه لم يقم بثورته وعصيانه إلا بعد وفاة والده؛ وإن كان أحد أبناء شيوخ إحدى القبائل، فإن الظروف الاقتصادية السيئة التي عانت منها هذه القبائل بسبب -كما ذكرنا أعلاه- تحول الطرق التجارية، إضافة إلى صغر سن الملك وتولي والدته "شقيلت" الوصاية عليه دفعته بتأييد من هذه القبائل -خصوصًا الصفوية- إلى العصيان، الذي لم يكتب له النجاح. أما الذين يرون أن "دمس" ابناً لحاكم الحِجْر، فيرجعون سبب ثورته إلى اختيار رب إل، مالكًا أخا دمس الأصغر واليًا على الحِجْر، خلفًا لوالده، مما أغضبه وجعله يثور عليه.

٦ - معاصرته، كأكثر ملك من ملوك الأنباط، عددًا كبيرًا من الأباطرة الرومان، وهم: نسبيسان، وتيطس، ودومتيان، ونيرفا، وتراجان، وكانت علاقته بهم -فيما يظهر- علاقة الحليف المطيع.

وكما لكل بداية نهاية فقد انتهت هذه الدولة العربية بعد مرور ثلاثة قرون تقريبًا، على يد الإمبراطور الروماني "تراجان"، الذي أرسل الحاكم الروماني في سوريا -آنذاك- "كورنيليوس بالما"، للاستيلاء على البتراء، وضم دولة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية، وتحويلها إلى ولاية رومانية عُرفت بالمقاطعة أو الكورة العربية. ومهما تعددت الآراء والأسباب التي دعت "تراجان" لاتخاذه هذا القرار إلا أن هناك أمرين مؤكدين لهما علاقة بهذا القرار هما:

---

(٤٥) وذلك بسبب اكتشاف البحار اليوناني "هيبالوس" لسر الرياح الموسمية، وبدأ الاستفادة منه تجاريًا، وتحديدًا من الهند (Browersock, 1983, p.156).

الأول : أن هذا القرار لم يلق بأي حال من الأحوال -على الأقل حسب الدلائل المعروفة لدينا حتى الآن- مقاومة لا من قبل المملكة النبطية، ولا حتى من الشعب النبطي، بل لم يأت ذكر لأي مقاومة شعبية بعكس ما حدث قبل أربعة قرون عندما جوبهت حملة "أنتيجونوس" الأول بمقاومة شعبية، حيث هاجم بعضهم الحامية التي تركها "أثنايوس" على بعد ثلاثين كيلاً من البتراء. وسبب هذا الاستسلام والقبول بالأمر الواقع يصعب تحديده، وحتى تشخيصه. فهل يعود إلى عدم ولاء الأنباط للأسر المالكة بسبب سوء إدارتها وضعفها وفسادها، أم يعود إلى أن الأنباط يميلون للدولة الرومانية، ويتخوفون من الدولة الفارسية المتحفزة للقضاء على الوجود الروماني في المنطقة؟.

الثاني : أن الظروف السياسية المحيطة، نحو التنافس البارثي الروماني للسيطرة على هذه المنطقة كانت العامل الفعال وراء هذا القرار الذي كان في سنة ١٠٦م (المعيقل، الذييب، ١٩٩٦م، ص ص١٣٠-١٣١).

وهكذا فمعلوماتنا عن الأنباط منذ ظهورهم في المصادر الكتابية القديمة، وحتى سقوطهم السياسي، تمكننا من إعطاء تقسيم زمني محدد لمراحلهم التاريخية، التي باعتقادنا تنقسم إلى المراحل الثلاث التالية :

الأولى: المرحلة المبكرة[٤٦] : وتنقسم إلى فترتين، الأولى: الفترة المبكرة المظلمة، وهي تلك التي تعود إلى ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد، وعندما كانت هذه القبائل تعيش في موطنها الأصلي (لا نعرف عنها إلا القليل من خلال الحوليات الأشورية) قبل ظهورهم في البتراء. الثانية: المبكرة، وتبدأ من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وهي الفترة التي عاشت فيها القبائل النبطية بأسلوب ونمط أقرب إلى الحياة البدوية الصحراوية مع الأخذ (بأسلوب تدريجي بطيء) بأسباب التقدم والرقي نتيجة احتكاكهم بالأمم المحيطة بهم.

المرحلة الثانية: المتوسطة: تبدأ من بداية القرن الأول قبل الميلاد وحتى بداية القرن الثاني الميلادي (١٠٦م)، اعتمادًا على أن المفهوم الحضاري لديهم قد تبلور بمختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعمارية. فقد حل لقب ملك مكان لقب زعيم، وظهر مبدأ مفهوم

---

[٤٦] كان نجف قد قسم تاريخ الأنباط إلى ثلاث مراحل، الأولى: المبكرة (من القرن الرابع أو بداية القرن الثالث قبل الميلاد إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد)، والثانية: المرحلة المتوسطة (من الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد إلى بداية القرن الميلادي الأول)، والثالثة: المرحلة المتأخرة (من الربع الأخير من القرن الأول الميلادي إلى بداية الربع الثاني من القرن الثاني الميلادي)، وذلك استنادا إلى نتائج دراساته لحفرياته في موقعي "عبادة وخلص" النبطيين (Negev, 1982, pp.119-128). وقد أكد هذا الرأي في مقال آخر له، معتمدا فيه على دراسته للعملات النبطية (Negev, 1982, pp0119-128) ونحن نخالفه في التحديد الزمني للفترتين الأولى (المبكرة) والثالثة (المتأخرة).

تطبيق منهج الدولة الواضح بإيجاد علاقات مع الدول المجاورة، أساسها المصالح الوطنية الخاصة بالدولة النبطية، وليس فقط مصلحة زعيم القبيلة أو شيخها، وتمثلت هذه المرحلة في إنشاء جيش نبطي منظم يعتمد الأسلوب والمنهج الروماني[٤٧]؛ بالإضافة إلى الارتقاء في المستوى المعيشي للأفراد نتيجة استغلالهم الأمثل لمواردهم الاقتصادية، الذي أدى إلى أمرين مهمين:

١ - التطور المعماري الحديث (في ذلك الوقت) الواضح على مبانيهم المعمارية وتخطيط مدنهم.

٢ - التطور الاجتماعي في مفاهيمهم وتقاليدهم، فاهتموا بالزراعة، وسكنوا المنازل والمساكن، ولم يروا مانعًا من القبول بالتعايش مع جاليات أجنبية ساعدت على الازدهار الاقتصادي.

المرحلة الثالثة: المتأخرة، والتي بدأت من بداية القرن الثاني الميلادي (ففي سنة ١١٢م اكتملت السيطرة الرومانية على الأراضي النبطية (المعيقل، الذييب، ١٩٩٦م، ص١٣١)، وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي اعتمادًا على أنها المرحلة التي بدأ الأنباط في أولها بالتنقل والتشتت (بعد سقوط دولتهم) والانضواء تحت لواء مجتمعات صغيرة أخرى (مثل الانضمام إلى الجيش الروماني).

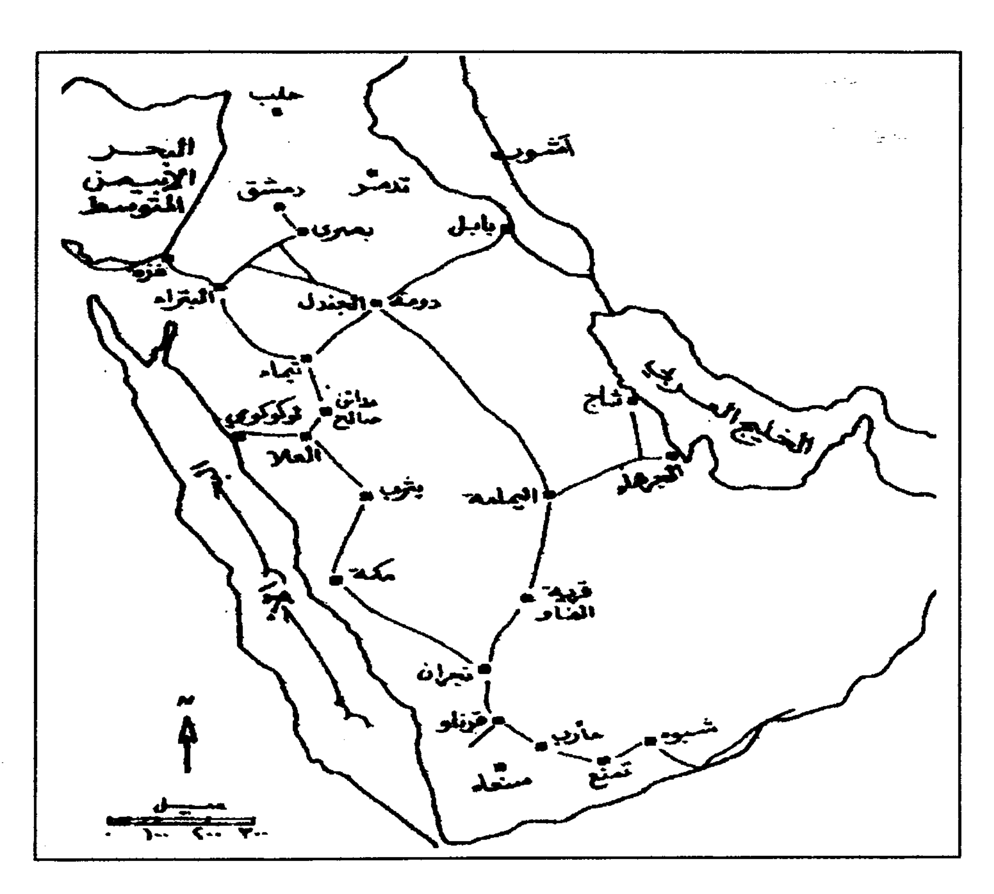
وتدل النقوش النبطية التي عُثر عليها حتى الآن في مصر (سواحل البحر الأحمر وسيناء والتي يصل عددها إلى أكثر من ٣٨٥١ نقشًا)[٤٨] على أن سواحل البحر الأحمر الشمالية وسيناء هي المكان الذي توجهت إليه القبائل النبطية، وبالذات من بداية القرن الثاني الميلادي بحثًا عن الاستقرار والأمان[٤٩]؛ خصوصًا أن الأوضاع في منطقتهم قد ساءت بالتدخل العسكري الروماني الذي تولى جنوده القيام بالمهام العسكرية والإدارية التي كان يقوم بها الأنباط. بالإضافة إلى أجواء الحرب التي خيمت على المنطقة نتيجة الاستعدادات المطلوبة من الجيش الروماني في حربه ضد الإمبراطورية البارثية، التي كانت تسيطر على أجزاء من بلاد الرافدين؛ لهذا اضطروا إلى العمل في الموانئ الشمالية للبحر الأحمر ومناجم سيناء. وفي آخر هذه المرحلة بدأ القلم النبطي في الاختفاء، حيث حل محله القلم العربي القديم.

---

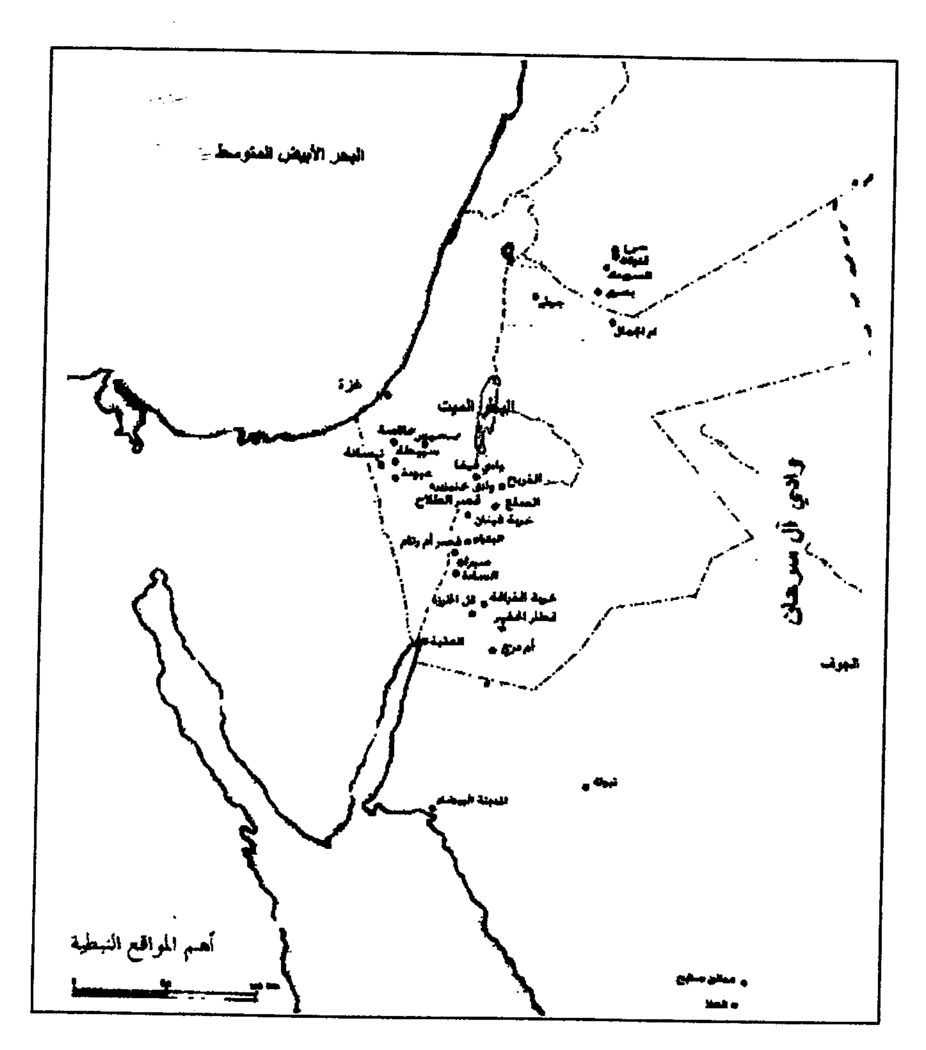
(٤٧) بدأ التطور الفعلي للجيش النبطي النظامي في عهد الحارثة الثالث (٨٧-٦٢ق. م) عندما قبل اليونانيون الذين كانوا في دمشق الانضمام إلى جيشه والعمل على تحسينه وتدريبه، للمزيد من المعلومات عن الجيش النبطي انظر (الدغيم، ٢٠٠٢م، ص ص ;Graf, 1994, pp.265-311).

(٤٨) Rock Inscription and Graffiti Project, ed by M. Stone, Atlanta, (1992, vols: 1-2, 1994, vol: 3).

(٤٩) أثبتت الدراسات ذات العلاقة بتطور أشكال الحروف على أن تاريخ هذه النقوش يعود للفترة الواقعة ما بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وبهذا الخصوص انظر (Negev, 1986, p.8).



الطرق التجارية عبر الجزيرة العربية



مملكة الأنباط

المصادر والمراجع

- المصادر والمراجع العربية
- المصادر والمراجع الأجنبية

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم.

أدامز، روبرت؛ البراهيم، محمد؛ بار، بيتر؛ المغنم، علي.، (١٩٧٧م)

"الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية، ١٩٧٦م، تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل"، **أطلال**، العدد الأول، ص ص٢١-٤٦.

إسماعيل، فاروق.، (١٩٨٤م)

لغة نقوش الممالك الآرامية: دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية، رسالة ماجستير غير منشورة، حلب: جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

.........................، (١٩٩٧م)

اللغة الآرامية القديمة، حلب: جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب.، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)

اشتقاق الأسماء، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب.، غزال، أحمد حسن، كنج، جفري.، (١٩٨٤م)

مواقع أثرية وصُور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، العلا (ديدان)، الحجر (مدائن صالح)، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود، كلية الآداب.

أوليري، دي لاس.، (١٩٩٠م)

جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى علي الغول، عمان: وزارة الثقافة (٢٢).

باخشوين، فاطمة علي سعيد.، (١٩٩٣م)

الحياة الدينية في الحجاز قبل الإسلام منذ القرن الأول الميلادي حتى ظهور الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات، كلية التربية للبنات بالرياض.

.........................، (٢٠٠٢م)

الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت، الرياض: د. ن.

بار، بيتر.، وآخرون.، (١٩٨٧م)

"التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشمالية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م"، **أطلال**، العدد الثاني، ص ص٣١- ٥٩.

البدر، سليمان.، (١٩٨١م)

مكان الخليج العربي في حضارة الشرق الأدنى القديم، الكويت: دورية قسم الجغرافيا، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية.

بوتس، دانيال.، (١٩٨٣م)

"ثاج في ضوء الأبحاث الحديثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م"، **أطلال**، العدد السابع، ص ص٦٩- ٨٠.

بودن، جارث.، ميللر، روبرت.، ايدفز، كريستوفو.، (١٩٨٠م) "التنقيبات الأولية في تيماء، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م"، **أطلال**، العدد الرابع، ص ص١٨ - ٦١.

بورسوك، جلين.، (٢٠٠٦م)

الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة: آمال محمد الروبي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

التركي، هند.، (٢٠٠٨م)

الملكات العربيات، الرياض: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

.........................، (٢٠٠٨م)

مملكة قيدار: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري خلال الألف الأولى ق.م، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الرياض للبنات، كلية الآداب، قسم التاريخ.

الجاسر، حمد.، (١٩٨١م)

في شمال غرب الجزيرة، نصوص، مشاهدات، انطباعات، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

.........................، (بدون)

المعجم الجغرافي للبلاد السعودية معجم مختصر يحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

الجراح، صالح رشيد سليمان.، (١٩٩٣م)

أسماء الأماكن والمواضع في النقوش الصفوية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لقسم النقوش في معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك -إربد- الأردن.

الجرو، أسمهان .، (١٩٩٦م)

التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة (اليمن القديم)، أربد: مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية.

جوسين، أنطونان، سافينياك، رفائيل .، (١٤٢٤هـ)

رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ترجمة صبا عبدالوهاب الفارس، مراجعة سليمان عبدالرحمن الذييب، سعيد فايز السعيد. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

الحموري، خالد.، (٢٠٠٢م)

مملكة الأنباط: دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، عمان: مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر (٢).

ابن خرداذبة، أبوالقاسم عبيدالله.، (١٩٦٧م)
كتاب المسالك والممالك، تحقيق م. ج. دي. جوج، ليدن: جامعة ليدن.
ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري.، (١٩٩١م)
الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل.
الدغيم، صالح إبراهيم.، (٢٠٠٢م)
التنظيمات العسكرية النبطية، الجوف: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.
الدهام، سلطان.، (٢٠٠٩م)
مجموعة العملات النبطية في متحف قسم الآثار بجامعة الملك سعود: دراسة وصفية تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود.
ديسو، رينية.، (١٩٨٥م)
العرب في سوريا قبل الاسلام، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.، (١٤٠٢هـ)
المقابر في الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة قصيرة قدمت في قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود.
..........................، (١٤١٦هـ)
"الموطن الأصلي للأنباط"، **الدارة**، العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، المحرم، صفر، ربيع الأول، ص ص٧٦-٨٠.
..........................، (١٩٩٨م أ)
نقوش الحِجْر النبطية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
..........................، (٢٠٠٠م ب)
المعجم النبطي، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
..........................، (٢٠٠٢م)
نقوش جبل أم جذايذ النبطية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
..........................، (٢٠٠٤م)
الأوجاريتيون والفينيقيون: مدخل تاريخي، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، بحوث تاريخية، الإصدار السابع عشر.
..........................، (٢٠٠٥م)
منطقة الرياض التاريخ السياسي والحضاري القديم، الرياض: أمانة مدينة الرياض.

.........................، (٢٠٠٦م)

معجم المفردات الآرامية القديمة: دراسة مقارنة، الرياض: منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية.

.........................، (٢٠٠٧م)

نقوش تيماء الآرامية، الرياض: منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية.

.........................، (٢٠٠٧م)

الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

.........................، (٢٠١٠م)

مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

الرواحنة، مسلم.، (٢٠٠٢م)

عهد الحارث الرابع: دراسة في مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية، عمان: مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر (١).

الرسيني، إبراهيم، وضيف الله الطلحي، وخليفة الخليفة، وإبراهيم السبهان، وخالد الحافي.، (٢٠٠١م)

"تقرير عن مسح محافظة المجمعة والمراكز التابعة لها الموسم الأول لعام ١٤١٦ - ١٤١٧هـ"، **أطلال**، السادس عشر، ص ص١٩٩ - ٢٥١.

.........................، وضيف الله الطلحي، وإبراهيم السبهان، وعبدالله الهدلق، وسعود الشويش، وسعيد العتيبي، ومحمد الحمود.، (٢٠٠٢م)

"تقرير عن مسح محافظة المجمعة والغاط -الموسم الثاني لعام ١٤١٦هـ- ١٤١٧هـ"، **أطلال**، السابع عشر، ص ص١١٩ - ١٤٣.

زارينس، يوريس، وآخرون.، (١٩٧٩م)

"التقرير المبدئي عن المسح في المنطقة الوسطى (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)"، **أطلال**، العدد الثالث، ص ص٩-٨٤.

ستاركي، جان.، (١٩٧٠م)

"النبط"، ترجمة محمود العابدي، **حولية مديرية الآثار الأردنية ١٥**، ص ص١- ١٢.

السديري، عبدالرحمن أحمد.، (د. ت)

الجوف وادي النفاخ، الجوف - لندن: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

سعيد، سامي.، (١٩٨١م)

المدخل إلى تأريخ اللغات الجزرية، بغداد: منشورات اتحاد المؤرخين العرب.

السعيد، سعيد بن فايز.، (١٤٢١هـ)

حملة الملك البابلي نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثامن.

.........................، (١٤٢٤هـ)

العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

السلامين، زياد.، (٢٠٠٩م)

مدخل إلى تاريخ وحضارة البتراء، عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

سيد، عبدالمنعم عبدالحليم.، (١٩٩٣م)

البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة: مجموعة بحوث نشرت في الدوريات العربية والأوربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

الشراري، نايف بن علي.، (٢٠٠٥م)

دومة الجندل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية: دراسة تاريخية حضارية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، سلسلة الرسائل الجامعية، ١٩.

صالح، عبدالعزيز.، (١٩٨٨م)

تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة: مكتبة جامعة القاهرة، والكتاب الجامعي.

الطلحي، ضيف الله، مضيف.، (١٩٩٦م)

"تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر الموسم الرابع (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)"، **أطلال**، العدد الرابع عشر، ص ص٣٢-٦٣.

طيران، سالم بن أحمد.، (٢٠٠٥م)

"آثار قرية الفاو مثال لحضارة العرب قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية"، **كتاب دراسات سبئية، دراسات في الآثار والنقوش والتاريخ مهداة إلى يوسف محمد عبدالله. وألساندرو ميجرية، وكريستيان روبان**، بمناسبة بلوغهم الستين عامًا، صنعاء- نابولي، ص ص١٢٣- ١٤٣.

العابد، مفيد.، (١٩٩٣م)

سورية في عصر السلوقيين، دمشق: دار شمأل.

عبابنة، محمد سمير.، (١٩٩٨م)

النقوش النبطية في الحجر (مدائن صالح)، رسالة ماجستير غير منشورة، بقسم النقوش، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك.

العبادي، صبري.، (١٩٩٦م أ)

"ذكر حرب الأنباط واليهود في النقوش الصفوية"، **مؤتة للبحوث والدراسات**، ص ص٢٣٩- ٢٥٣.

.........................، (١٩٩٦م)

"نقوش صفوية جديدة في الأردن/ وادي الحشاد"، **دراســـات**، مج٣٢، العدد الثاني، ص ص٢٤٢- ٢٥٢.

عباس، إحسان.، (١٩٨٧م)

تاريخ دولة الأنباط، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

...............، أبو طالب، محمود.، (١٩٩١م)

شمال الجزيرة العربية فى العهـد الآشـوري، عمان: منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية- جامعة اليرموك.

عبدالعليم، مصطفى كمال.، (١٩٨٦م)

"الأيتوريون عرب لبنان القدماء"، **العصور**، مج١، ص ص٧-٢١.

عبدالله، يوسف محمد.، (١٩٧٠م)

النقوش الصفوية في مجموعة جامعة الرياض عـام ١٩٦٦م، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لدائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، الجامعة الأمريكية، بيروت.

.........................، (١٩٩٠م)

أوراق في تاريخ اليمن وآثاره: بحوث ومقالات، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.

عبيدات، نسيم.، (١٩٩٨م)

الإشارات التاريخية في النقوش النبطية، رسالة ماجستير غير منشورة، إربد: جامعة اليرموك، معهد الأنثروبولوجيا والآثار.

العتيبي، محمد سلطان.، (١٤١٢هـ)

المعبد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام: مفهومه وتطوره ووظيفته منذ القرن الســادس قبــل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

.........................، (٢٠٠٦م)

التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق. م، حـتى القـرن السادس الميلادي، الرياض: وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف.

علي، جواد.، (١٩٧٨م)

المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة النهضة (١٠ أجزاء).

علي، صالح أحمد.، (١٩٨١م)

محاضرات في تاريخ العرب، الدول العربية قبل الإسلام النظم البدوية حياة الرسول والدعوة الإسلامية في مكة، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر.

العمير، عبدالله بن إبراهيم؛ الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.، (١٤١٨هـ)

"النقوش والرسوم الصخرية بالجواء في منطقة القصيم"، **الدارة**، العدد الثاني، السنة الثالثة والعشرون، ص ص١٠٧-١١٢.

الغزي، عبدالعزيز بن سعود.، (١٩٩٦م)

"تقرير عن حفرية أثرية في الموقع ٢٠٧- ٦٢ (واحة الخرج) المنطقة الوسطى"، **أطلال**، العدد الرابع عشر، ص ص٣٧ - ٤٢.

........................، (١٩٩٣م)

الآثار والتاريخ القديم في المملكة العربية السعودية: مصادر ومراجع (١). الرياض: (د. ن).

الفاسي، هتون.، (١٩٩٣م)

الحياة الاجتماعية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض: (د. ن).

........................، (٢٠٠٢م)

"الحضانة ونظام الانتساب في الحجر - مدائن صالح"، **مداولات اللقاء العلمي السنوي الرابع للجمعية**، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص ص٩ - ٣٤.

........................، (٢٠٠٧م)

"ملكات الأنباط دراسة تحليلية مقارنة"، **أدوماتو ١٦**، ص ص٢١-٤٠.

فرج، سيد، (١٩٨٥م)

"الكتابات العربية القديمة"، **عالم الفكر**، مج٥ ، العدد الرابع، يناير، فبراير، مارس، ص ص٩١٢ - ٤٥٢.

الفقير، بدر؛ بورويه، محمد؛ المطلق، مطلق.، (تحت النشر)

الجغرافيا التاريخية لموقع شرث: دراسة جغرافية آثارية ميدانية، الرياض.

المعاني، سلطان عبد الله.، (٢٠٠٥م)

مفردات قديمة في السياق الحضاري، عمان: دار ورد للنشر والتوزيع.

المعيقل، خليل إبراهيم.، الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.، (١٩٩٦م)

الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، الرياض: مطبعة الخالد للأوفست.

........................، (١٤٢٢هـ)

بحوث في آثار منطقة الجوف، الجوف: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

مهران، محمد بيومي.، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)

تاريخ العرب القديم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

موسل، أ.، (١٩٨٨م)

شمال الحجاز، ترجمة: عبدالمحسن الحسيني، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

الناشف، هالة.، (١٩٧٢م)

أديان العرب ومعتقداتها في طبقات ابن سعد، بيروت: رسالة ماجستير قدمت للدائرة العربية في الجامعة الأمريكية (غير منشورة).

الناصري، سيد أحمد علي.، (١٩٨٤م)

"الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة"، **دراسات الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الرياض (الملك سعود)، ص ص٤٠١-٤٢٨.

نامي، خليل.، (١٩٣٥م)

"أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام"، **مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية**، مج٣، ج١، ص ص١- ١١١.

النصرات، محمد إسماعيل.، (٢٠٠٧م)

تاريخ الأنباط السياسي، عمان: مشروع بيت الأنباط للنشر والتوزيع (٨).

نيلسون، ديتلف، وآخرون.، (١٩٥٨م)

التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسين علي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الهاشمي، رضا جواد.، (١٩٧٨م)

"العرب في ضوء المصادر المسمارية"، **كلية الآداب، جامعة بغداد**، ٢٢، ص ص٩٣٦-٢٨٦.

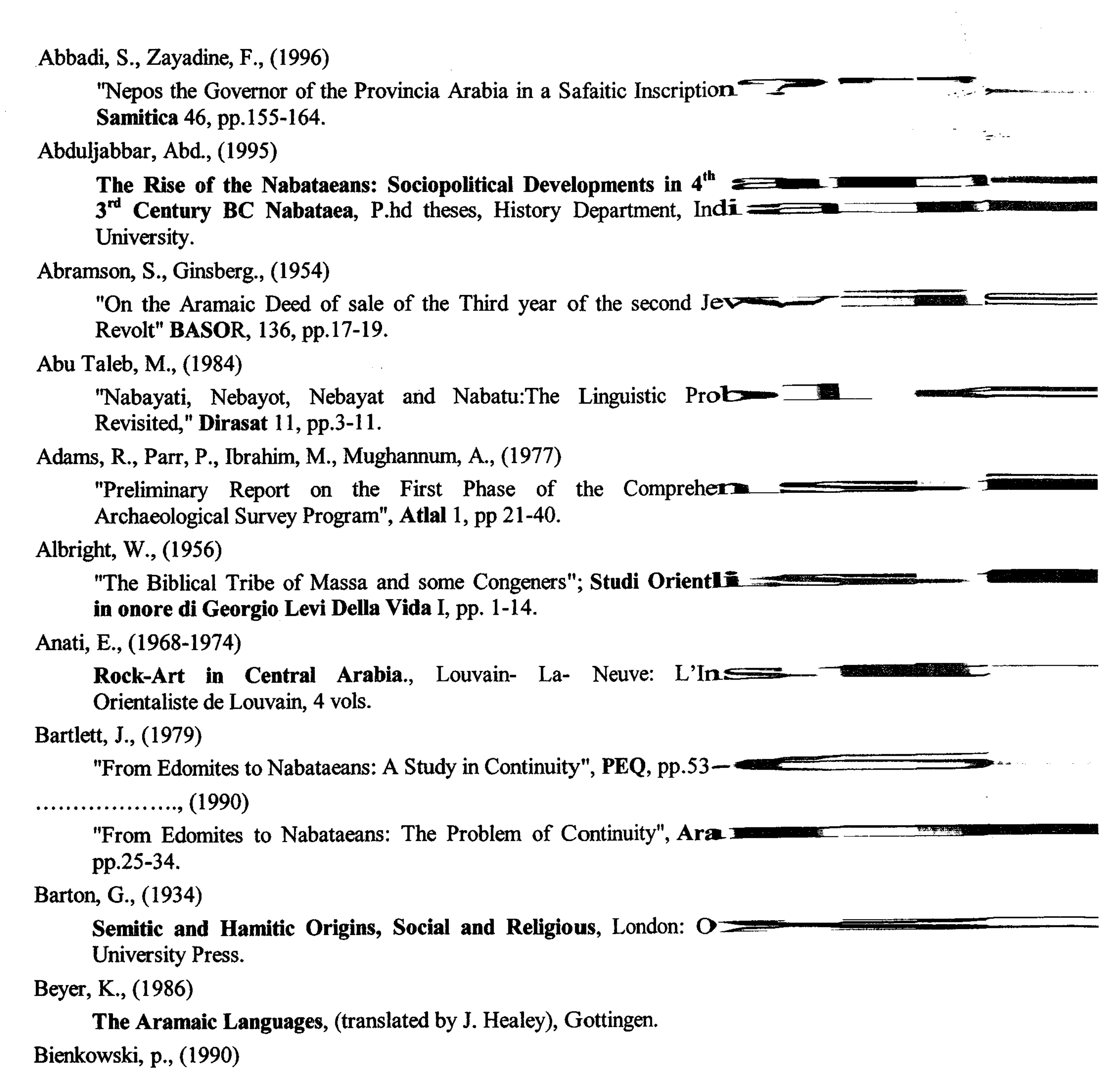
هزيم، رفعت.، (١٩٩٤م)

"الألقاب والرتب السياسية والعسكرية في الكتابات النبطية"، **أبحاث اليرموك**، مج٢١، ص ص٧٥- ٧٨.

هيلي، جون.، (١٩٩٣م)

"نقوش المقابر النبطية في مدائن صالح"، ترجمة سليمان بن عبدالرحمن الذييب، في
The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih, Oxford: Oxford University Press.

ثانياً : المصادر والمراجع الأجنبية:



Abbadi, S., Zayadine, F., (1996)

"Nepos the Governor of the Provincia Arabia in a Safaitic Inscription
Samitica 46, pp.155-164.

Abduljabbar, Abd., (1995)

The Rise of the Nabataeans: Sociopolitical Developments in 4th
3rd Century BC Nabataea, P.hd theses, History Department, Indi
University.

Abramson, S., Ginsberg., (1954)

"On the Aramaic Deed of sale of the Third year of the second Je
Revolt" **BASOR**, 136, pp.17-19.

Abu Taleb, M., (1984)

"Nabayati, Nebayot, Nebayat and Nabatu:The Linguistic Prob
Revisited," **Dirasat** 11, pp.3-11.

Adams, R., Parr, P., Ibrahim, M., Mughannum, A., (1977)

"Preliminary Report on the First Phase of the Comprehe
Archaeological Survey Program", **Atlal** 1, pp 21-40.

Albright, W., (1956)

"The Biblical Tribe of Massa and some Congeners"; **Studi Orienti**
in onore di Georgio Levi Della Vida I, pp. 1-14.

Anati, E., (1968-1974)

Rock-Art in Central Arabia., Louvain- La- Neuve: L'In
Orientaliste de Louvain, 4 vols.

Bartlett, J., (1979)

"From Edomites to Nabataeans: A Study in Continuity", **PEQ**, pp.53-

.................., (1990)

"From Edomites to Nabataeans: The Problem of Continuity", **Ara**
pp.25-34.

Barton, G., (1934)

Semitic and Hamitic Origins, Social and Religious, London: O
University Press.

Beyer, K., (1986)

The Aramaic Languages, (translated by J. Healey), Gottingen.

Bienkowski, p., (1990)

Women in Per-Islamic Arabia, Oxford: British Archaeological Reports (BAR) Archaeos Press.

Healey, J., (1989)

"Were the Nabataeans Arabs?" **Aram** 1, pp.38-44.

.................., (1990)

"Nabataean to Arabic: Calligraphy and Script Development Among the pre-Islamic Arabs", **MME** 5, pp.41-52.

.................., (1993)

The Nabataean Tomb Inscriptions of Madain Salih, Oxford: Oxford University Press.

.................., (2001)

The Religion of the Nabataeans: A Conspectus, Leiden: Brill, pp.153-4.

Herodot, Historiae, Translated by: A. D. Godley, London: LCL.

Hill, F., (1965)

A Catalogue of the Greek Coins in The British Museum: Arabia: Mesopotamia and Persia, London.

Hoftijzer, J., Jongeling, K., (1995)

Dictionary of the Nort - West Semitic Inscriptions, Leiden: E. J. Brill.

Horsfield, G., (1938)

"Sela- Petra, the Rock of Edom and the Nabatene: III. The Excavations", **QDAP** 8, pp.87-115.

.................., (1939)

"Sela- Petra, the Rock of Edom and the Nabatene: IV. The Finds", **QDAP** 9, pp.105-204.

Huber, Ch., (1883-1884)

Journal d'un Voyage en Arabie, Paris: La Societé Asiatique et la Societé de Geographie.

Jastrow, M., (1903)

A Dictionary of the Targumim, the Talmud Babli and Yerushalmi and the Midrashic Literature, London: Judiaca Press.

Jaussen, A., Savignac, R., (1909- 1914)

Mission Archéologique en Arabie, Paris: La Societé des Fouilles Archéologiques, (2 vols).

Jones, A., (1971)

Cites of the Easteren Roman Province, Oxford: Oxford University Press.

.................., Johnson, D., Hammond, Ph., Fiema, Z., (1988) "A Second Nabataean Inscription from Tell esh - Shuqafiya, Egypt", **BASOR** 269, pp.47-57.

Josephus, F., (1998)

The Work of Josephus, The Jewish Wars, The Jewish Antiquities, Trans by W. Thomas, Nashvilla: Nelson Publishers.

Kabawi, A., M. Khan, A. al-Zahrani, M. al- Taimai, A. Mansour., (1990)

"Preliminary Report on the Fifth Season of Comprehensive Rock Art and Epigraphic Survey of the Kingdom of Saudi Arabia, 1410H/ 1990", **Atlal** 13, pp.35-40.

Kammerer, A., (1929)

Petra et la Nabaténe, Paris: Librairie Orientaliste Paul.

Kasher, A., (1988)

Jews, Idumaeans and Ancient Arabs: Relations of th in Eretz- Israel with the Nations of the Frontier and the Desert during the Hellenistic and Roman Era (332BCE- 70CE), Text und Studien Zum Antiken Judentum, 18, Tubingen: JCB Mohr.

Khairy, N., (1980)

"An Analytical Study of the Nabataean Monumental Inscriptions at Meda'in Saleh", **ZDPV** 96, pp, 163-168.

.................., (1981)

"A New Dedicatory Nabataean Inscription from Wadi Musa," **PEQ**, pp.19-26.

Kitchen, K., (1994)

Documentation for Ancient Arabia: Chronological Framework, Historical Soures, Liverpool: Liverpool University Press.

Knauf, E., (1990)

"Dushara and Shaial- Qawm", **Aram** 2, pp.173-183.

.................., (1990a)

"The Persian Administration in Arabia", **Transeuphratene** 2, pp.201-17.

.................., (1989)

"Nabataean Origins", In: **Arabians Studies in Honour of Mahmoud Ghul**, pp.56-61.

Knights, C., (1993)

"The Nabataeans and the Rechabites", **JSS** 38, pp.227-335.

Lawar, J., (1974)

The Nabataeans in Historical Perspective, Michigan: Barker Studies in Biblical Archaeology.

Leslau, W., (1987)

Comparative Dictionary of Ge^{c}ez (Classical Ethiopic): with an index of the Semitic roots, Wiesbaden: Otto-Harrassowitz.

Levinson, H., (1974)

The Nabataean Aramaic Inscriptions, New York: The University of NewYork, Ph.D thesis.

Millard, E., (1993)

The Roman Bear Bast 31 B. C-A. D337, London: Harvard University Press.

Macdonald, M., (1991)

"Was the Nabataean Kingdom a Bedouin State?", **ZDPV** 107, pp.102-119.

.................., (1993)

"Nomads and the Hawran in the Late Hellenistic and Roman Periods A Reassessment of the Epigraphic Evidence", **Syria**, 60, pp.303-413.

Mattingly, G., (1990)

"Settlement on Jordan's Kerak Plateau from Iron Age IIC Through the Early Roman Period", **Aram** 2, pp.309-335.

Meshorer, Y., (1975)

Nabataean Coins, Jerusalem: Institute of Archaeology.

Milik, J., (1982)

"Origines des Nabateens", In: **Studies in the History and Archaealogy of Jordan**, ed by: A.Hadidi, pp.261-5.

Moscati, S., (1964)

An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages, Wiesbaden: Porta Linguarum Orientalium, Otto Harrassowitz.

al- Muaikel, Kh., (1994)

A Study of the Archaeology of the Jawf Region, Riyadh: King Fahd National Library Publications.

Nasif, A., (1979)

"Qanats al^{c}ula", **Proceeding of Seminar for Arabian Studies** 10, pp.75-80.

.................., (1988)

Al -^{c}ula an Historical and Archaeological Survey with Special Reference to its Irrigation, Riyadh: King Saud University Press.

Negev, A., (1969)

"The Chronology of the Middle Nabatean Period", **PEQ** 101, pp.5-14.

.................., (1976)

"The Early Beginning of the Nabataeans Realm", **PEQ**, pp.125-35.

.................., (1976)

"The Nabataean Necropolis at Egra", **RB** 83, pp.203-236.

.................., (1977)

"The Nabataeans and the Provincia Arabia", **ANRW** II Principat 8, pp.520- 686.

.................., (1986)

"Obodas the God", **IEJ** 36, pp.56-60.

.................., (1986)

Nabataean Archaeology Today, New York.

Oxtoby, W., (1986)

"The Nabataean and North- West Arabia", **BIA** 8, pp.250-253.

Parr, P., (1965)

"The Beginnings of Hellenisation at Petra" In: **Le Rayonnement des Grecque et Romaine sur les Cultures Peripheriques, Huitieme Congres International d' Archeologie Classique**, Paris, pp.527-533.

.................., (1986)

"The Nabataean and North- West Arabia", **BIA** 8, pp.250-3.

.................., Harding, G., Dayton, J., (1970)

"Preliminary Survey in North-Western Arabia, 1968", **BIA** 8-9 pp.103-242.

Peters, F., (1977)

"The Nabataean in the Hawran', **JAOS** 97, pp.263-277.

Potts, D., (1988)

"Trans- Arabian Routes of the Pre-Islamic Period", **L'Arabie et ses Mers Bordieres, Travaux de la Maison de** L'Orient no.16 ed by: Jean Rancois Salles, pp.127-162.

Pliny., (1969)

Natural History Book, VI, London: Loeb Classical Library Cambridge.

Patrich, J., (1990)

The Formation of Nabataean Art, Prohibition of a Graven Image Among the Nabataean, Jerusalem: The Hebrew University.

Rey, J., (1999)

"Nabataen Norther Trade Routes and Northern Political Boundaries Revisited", **The First Conference on Nabataean Research and Studies**, Patra, Jordan.

Riddle, J., (1961)

Political History of the Nabataean from the Time of Roman Intervention Until Loss of Independence in 106 A.D, North Careline, MA thesis.

Robinson, G., (1936)

The Sarcophagus of an Ancient Civilization: Petra, Edom and the Edomites, New York: Macmillan Company.

Rock Inscriptions and Graffiti Project, ed. by: M. Stone, Atlanta, (1992 vols: 1-2, 1994, vol:3).

Safire, S., (1974)

The Jewish People in the First Century, Van Corcum. Assen.

al- Saud, A., (1998)

Central Arabia during the Early Hellenistic Period, with Particular Reference to the Site of al- ayun in the Area of al- Aflaj in Saudi Arabia, Riyadh: King Fahd National Library.

Sauer, J., (1988)

"Archaeology a Long the Spice Route of Yeman", **Araby the Blest Study in Arabian Archaeology**, ed. By: D. Potts, pp.91-115.

Schmidt-Colinet, A., (1980)

"Nabataische Felsarchitektur", **BJ** 180, pp.189-230.

.................., (1983)

"A Nabataean Family of Sculptors at Hegra", **Berytus** 31, pp.95-102.

.................., (1987)

"The Mason's Workshop of Hegra, its Relations to Petra, and the Tomb of

Syllaios", **Studies in the History and Archaeology of Jordan III**, pp.143-150.

Speidel, M., (1977)

"The Roman Army in Arabia", **ANRW**, Principat 8, pp.688-730.

Schurer, E., (1973)

The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ (175 B. C- A. D. 135), Rev. Ed. G. Vermes, F. Millar, and M. Goodman, Edinburgh: T. and T. Clark.

Starcky, J., (1955)

"The Nabataeans: A Historical Sketch", **BA** 18, pp.84-106.

.................., (1966)

"Petra et La Nabatene", **DBS** 7, Cols: 886-1017.

Strabo, (1930)

Geography, Tran. By: H. I. Jones, London: LCL.

Strugnell, J., (1959)

"The Nabataean Goddess Al- Kutba' and her sanctuaries", **BSOAS** 156, pp.29-37.

al-Talhi, D., al-Daire, M., (2006)

"Roman Persence in the Desert A New Inscription from Hegra", **Chiron** 35, pp.205-217.

Taylor, J., (2001)

Petra and the Lost Kingdom of the Nabataeans, London: Tauris Publisher.

Teixidor, J., (1977)

The Pagan God, Popular Religion in the Greco-Roman Near East, New Jersey: Princeton University Press.

.................., (1995)

"Le Campement: Ville des Nabatéens" **Sémitica** 44, pp.111-21.

Thackery, H. J., (1904)

The Letters of Aristeas, Translated into English with an Introduction and Notes, London.

al-Theeb, S., (1993)

Aramaic and Nabataean Inscriptions from North - West Saudi Arabia, Riyadh: King Fahd National Library Publictions.

.................., (1997)

"The Native Land of the Nabataeans", **New Arabian Studies** 4, pp.233-242.

Tomback, R., (1974)

Comparative Semitic Lexicon of the Phoenician and Punic Languages, New York: Scholars Press for the Society of Biblical Literature.

Vickers, M., (1994)

"Nabataea, India, Gaul, and Carthage: Reflections of Hellenistic and Roman Gold Vessels and Red- Gloss Pottery", **AJA** 98, pp.231-248.

Waldmann, H., (1987)

"Middle East. The Hellenistic States of The 3rd Century B.-C", **Tubinger Atlas des Vorderen Orients**. Wiesbaden.

Wenning, R., (1987)

Die Nabatäer- Denkmäler und Geshichte, Göttingen: Vandenhoeck und Ruprecht.

Whittaker, C. R., (1994)

Frontiers ot the Roman Empires: A Social and Economic Study, Baltimore: The John Hopkins University Press.

Winnett, F., (1973)

"The Revolt of Damas: Safaitic and Nabataean Evidence", **BASOR** 211, pp.54-7.

.................., Reed, W., (1970)

Ancient Records from North Arabia, Toronto: University of Toronto Press, 1970.

Yadin, Y., (1963)

"The Nabataean Kingdom, Provincia Arabia, Petra and En-Geddi in the Documents from Nahal Hever", **JEOL** 17, pp.227-241.

Zayadine, F., (1986-7)

"La Voie Royale, Le royaume de Nabaténe", pp.152-166.